نظرات في الأدب النبوي

وتليها

دراسة للسيرة النبوية من خلال الأدعية المأثورة المروية

للداعية الحكيم، المفكر الإسلامي الكبير

العلامة السيد

أبي الحسن علي الحسني الندوي

(١٣٣٣ - ١٤٢٠ هـ)

اعتنى بها

سيد عبد الماجد الغوري

دار البشائر الإسلامية

نَظَـرَاتٌ في

الأَدَبِ النَّبَوِيِّ

نظرات في الأدب النبوي

وتليها

دراسة للسيرة النبوية من خلال الأدعية المأثورة المروية

للداعية الحكيم، المفكر الإسلامي الكبير

العلامة السيد

أبي الحسن علي الحسني الندوي

(١٣٣٣ - ١٤٢٠ هـ)

اعتنى بها

سيد عبد الماجد الغوري

دار البشائر الإسلامية

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

شركة دار البشائر الإسلامية

للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م

أسسها الشيخ رمزي دمشقية رحمه الله تعالى سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥ هاتف: ٧٠٢٨٥٧

فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣ e-mail: bashaer@cyberia.net.lb



بسم الله الرحمن الرحيم

التقدمة :

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصلاة والسلام على نبيِّه محمَّد ، الذي اصطفاه برسالته العامَّة الشاملة خاتمة رسالاته للناس ، وحباه مِن فضله الهدى والحكمة ، وآتاه جوامعَ الكَلِم وفصلَ الخطاب .

وبعد : فقد يجمع الكثيرون بين الأدب والفكر ، وكذلك الكثيرون يجمعون بين الأدب والدعوة إلى الله ، ولكن الذين يمسكون الخيوطَ الذهبيةَ الثلاثةَ الأدب والفكر والدعوة ، في آنٍ واحدٍ قليلون جدّاً في هذا العصر ، منهم نابغة الدهر ، شاعر الإسلام : الدكتور محمد إقبال ، والأديب الكبير ، الداعية الشهيد : سيد قطب وصاحب هذه المقالات .

قد عرَفَ الناسُ العلامةَ أبا الحسن علي الحسني الندوي ـ رحمه الله تعالى ـ أديباً إسلامياً بارعاً مثلما عرفوه مفكِّراً كبيراً ، وداعيةً حكيماً ، ومربِّياً جليلاً من خلال كُتبه ومؤلَّفاته

لقد تجمَّعَتْ فيه صفاتُ الأديب الإسلامي العالمي . فكان أديباً في العربية وأديباً في الأردوية ، وكأنَّما وضع الله فيه هذه السِّماتِ ليكون الرجل الذي انتُظِر طويلاً يتعزَّزَ به الأدبُ الإسلامي ، ويجد من يرعاه في عصر القوميات الضيِّقة ، ومحاولات فصل الدين عن الأدب والفكر والسياسية والاقتصاد وجوانب الحياة العلمية ، فقد احتضَنَ هذا الرجلُ ـ بحماسة المؤمن الصادق ـ أوَّلَ تجمُّعٍ للأدباء الإسلاميين على اختلاف جنسياتهم ولغاتهم ، وظهَرَ برعايته أوَّلُ هيئةٍ أدبيةٍ إسلاميةٍ ، لا في العصر

الحديث وحسب ، بل وفي تاريخ الشعوب الإسلامية كلِّها[1] ألا وهي رابطة الأدب الإسلامي العالمية التي لم يزل يرعاها إلى أن توفِّي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ .

بدَأ العلامةُ الندوي يكتب في الأدب الإسلامي منذ أول الخمسينيات في كبرى مجلَّات عربية كانت تصدر من مصر ودمشق والهند ، وأولُ مقالٍ كتبه فيه هو بعنوان « الأدب النبوي » في العدد الأول لمجلة « الضياء » التي كانت تصدر من ندوة العلماء ، والتي ترأَّس تحريرَها أيضاً فترةً من الزمن . فلمَّا اختاره مجمعُ اللغة العربية بدمشق عضواً له عام ١٩٥٧م ، كتب على طلبٍ منه مقالاً بعنوان « نظرة جديدة إلى التراث الأدب العربي » ، بيَّنَ فيه الحاجةَ إلى استعراض الأدب العربي وتاريخه استعراضاً جديداً ، واسترعى انتباهَ المعنيين بالأدب إلى استخراج تلك الجواهر واللآلِي منه التي لم تزل مغمورةً مطمورةً تحت الركام ، ولفَتَ الأنظار في هذا الصدد إلى تبنِّي الأفق الواسع ، والنظرة الواسعة إلى الأدب ، والخروج من حدوده التقليدية المرسومة ، ورفَضَ أن يقتصر الأدب على حياكة المدَّاحين والمتملِّقين والمتحذلِقين ، وقرَّرَ أن الأدب كلُّ تعبيرٍ جميلٍ صادقٍ عن أحداثٍ هزَّتْ الوِجْدانَ . فقدَّمَ العلامةُ الندويُّ في هذا المقالِ دليلَه الحاسم ؛ نصوصاً رائعةً من كتبِ الحديث والسيرة والمغازي والتاريخ ، ووقفَ فيها وقفاتٍ جماليةٍ دقيقةٍ على مقاطع منها ، تحسُّ معها أنَّه يحصي نبضَ الكلمات ، ويلمس حرارةَ العبارة ، وينقلها إليك في أقوى صيغِ التأثير ، وقد نقلنا إلى الكتاب من هذا المقال بعضَ نصوصٍ ـ يجد القارىءُ فيه ما أشرنا إليه آنفاً .

ثم كتَبَ العلامةُ الندوي بحثاً قيماً بعنوان « دراسة للسيرة النبوية من خلال الأدعية المأثورة المروية » امتداداً لنظرة المقال الآنف الذكر ، وتطبيقاً لموازينه على نصوصٍ كريمةٍ عظيمةٍ ، هي مِن أصدق الأدب روايةً وفائدةً ومتعةً ، تناوَلَ فيه العَّلامةُ جانباً من جوانب السيرة النبوية المحمَّدية بالتأمُّلِ والدراسة ، والتحليلِ والاستعراضِ ، وله اتصالٌ وثيقٌ بالسيرة ، قد فاتت كثيراً من المؤلِّفين في موضوع السيرة العنايةُ به ، والتوسُّعُ فيه ، وإفرادُ البحث عنه ، فعَمَدَ العلامةُ في هذا البحثِ إلى نصوص الحديث الشريف ، وبيَّنَ أبعادها الأدبية ، وعطاءاتها البلاغية ، وآثارها

---

(١) نظرات في الأدب : للعلامة أبي الحسن الندوي ، ص(٩)

النفسية والاجتماعية ، ونبَّهَ كذلك إلى جوانب كثيرة لا ينتبه إليها إلا متأمِّلٌ زَوّاقةٌ هدى الله بصيرتَه إلى دقائق الأمور ، وقد نُشِر هذا البحثُ في مجلَّة « الأزهر » و« البعث الإسلامي » ، ثم نُشِر في رسالةٍ مفردةٍ أعيدَ طبعُها مراراً في مصر والهند .

لقد اطلعتُ على ذلك المقال الماتع الممتع ، وهذا البحث القيِّم النفيس خلال العمل في جمع وإعداد مقالات ومحاضرات العلاَّمة الندوي ، فوجدتُهما جديرَين بالإخراج ونشرهما ككتابٍ مستقلٍّ بعنوانٍ مناسبٍ له ، وقمتُ ـ ما وسعني ـ بخدمة هذا الكتاب بالتصحيح والتنقيح وتخريج جميع أحاديثه ، وذِكر تراجم أعلامه مع تعليقات مفيدة في الحواشي ، وكذلك قدَّمتُ في الفصل الأول لهذا الكتاب الشهاداتِ بسموِّ البيانِ النبويِّ ، وعلوِّ فصاحته ، وإبداعه من القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية ، ومن أقوال الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ، وأئمة اللغة والأدب مستفيداً في ذلك من كتاب « في ظلال الحديث النبوي » لفضيلة أستاذنا الجليل العلاَّمة المحدِّث الشيخ نور الدين عِتَر ـ حفظه الله ومدَّ في عمره إمتاعاً بخدمة الكتاب والسنة ـ .

أسألُ اللهَ تبارك وتعالىٰ أن يتقبَّلَ هذا الجهد المتواضع المبذول في خدمة هذا الكتاب خالصاً لوجهه ، إنَّه سميعٌ مجيبٌ

كتبه

المعتز بالله تعالىٰ

عبد الماجد الغوري

دمشق ٢٦/ جمادى الآخرة ١٤٢٤هـ

٢٤/آب (أغسطس) ٢٠٠٣م

ترجمة
العلاّمة أبي الحسن علي الحسني النّدوي

هو الداعية الحكيم ، المفكِّر الكبير ، المربّي الجليل ، الأديب البارع : العلاَّمة السيِّد أبو الحسن علي الحسني الندوي بن عبد الحي بن فخر الدين الحسني .

وُلِدَ عام (١٣٣٣هـ ـ ١٩١٣م) في قرية « تَكِيَة كَلاَن » من مديرية « رَأي بَرِيْلِي » بوِلاية أُتَرَابَرْدَيْش (الهند)

نشَـأ وتربَّى إلى التاسعة من عُمره في حجر والده العظيم الشيخ عبد الحي الحسني ـ صاحب « الإعلام بمَن في تاريـخ الهند من الأعلام » ومؤلَّفات تاريخية قيمة أخرى بالعربية والأردوية[1] ـ ، وبعد وفاة والده تعلَّم تحت إشراف أخيه الأكبر الدكتور عبد العلي الحسني[2] ، وتربَّى عليه وعلى والدته ، والتي كانت متعلِّمة وصالحة تقية ، فأحسنتْ تربيتَه إلى أنْ أكمل دراسته الابتدائية ، ثم التحق بجامعة نَدْوَة العلماء ودرس على كبار أساتذتها في الشريعة واللغة العربية يومئذ ، ومنهم الجدير بالذكر العلامة المحدِّث حيدر حسن خان الطُّوْنَكِي[3] ، والعلامة

---

(١) انظر ترجمته في كتاب « من أعلام المسلمين ومشاهيرهم » للعلاَّمة الندوي ، ص(٢١٩) إعداد المحقِّق ، طُبع في سلسلة « تراث العلامة الندوي » في دار ابن كثير بدمشق .

(٢) أحد أعلام الهند ، كان طبيباً حاذقاً ، عالماً تقياً ، نادرةً في نوادر الأيام في الجمع بين الثقافتين الشرقية والغربية ، ومحاسن القديم والجديد ، درس في ندوة العلماء ، ودار العلوم ديوبند على كبار أساتذتهما يؤمئذ ، ثم درس الطبَّ الإنجليزي . عيِّن أميناً عاماً لندوة العلماء فلم يزل على هذا المنصب إلى أن وافاه أجله المحتوم عام ١٣٨٠هـ . (كتب عنه العلامة الندوي في كتابه « شخصيات وكتب » يرجع إليه للاستيزادة من الاطلاع عليه) .

(٣) كان من كبار العُلماء الرَّبانيين ، والمعلِّمين المربِّيين في الهند ، وكان منهجه في تدريس الحديث الشريف أشبه بمنهج المحدِّثين منه بمنهج الفقهاء ، درس العلاَّمة الندوي عليه كتب الحديث الأربعة (غير سُنن النَّسائي وابن ماجه) . توفي ـ رحمه الله ـ بلكهنؤ عام ١٣٦١هـ .

الشيخ محمد تقي الدين الهِلَالِي المَرَّاكُشِي[1]

وقضى فترةً من الزمن في دار العلوم دِيُوْبَنْد الإسلامية[2] ، حيث قرأ الحديث على الشيخ حسين أحمد المدني[3] ، وكذلك قَضَى فترةً في معهد علوم القرآن بلَاهُوْر[4] حيث قرأ تفسير القرآن الكريم بكامله على المفسِّر المشهور الشيخ أحمد علي اللَّاهُوْرِي[5]

تخصَّصَ العلَّامةُ في التفسير والأدب العربي ، وعُيِّنَ أستاذاً لهما في دار العلوم ـ ندوة العلماء ، ثم قام مدةً بتدريس الحديث الشريف فيها

ثم انخرَطَ في سلك جماعة الدعوة والتبليغ (لموسِّسها الداعية إلى الله الكبير الشيخ محمَّد إلياس الكَانْدَهْلَوِيّ ـ رحمه الله تعالى[6] ـ) وبقي مشتغلاً فيها بعمل

---

(١) هو العلَّامة البحَّاثة ، وأحد كبار علماء اللغة العربية في هذا العصر ، وأصحاب التحقيق والإتقان في صحة الكلمات العربية وأصالتها وقواعد اللغة ، ومن أقوى الناس إنكاراً على التعبيرات المستحدثة المنقولة من اللغات الأجنبية . وُلد بسجلماسة في المغرب ، ونشأ نشأةً صوفيةً ، ثم تركها واتخذ السلفية معتقداً ، سافر إلى الهند وقرأ الحديث على كبار محدِّثيها وعيِّن أستاذاً خلال إقامته في كلية اللغة العربية وآدابها في ندوة العلماء ، توفي ـ رحمه الله ـ بالدار البيضاء عام ١٤٠٧هـ .

(٢) الواقعة في قرية « ديوبند » في ولاية أترابرديش ، الهند .

(٣) هو العالم العَلَم المجاهد ، كان من كبار العلماء المتمكِّنين في الحديث الشريف ، قام بتدريسه مدةً طويلةً في دار العلوم ديوبند الإسلامية ، وكان من كبار قادة حركة التحرير ، وإجلاء الإنجليز من البلاد ، توفي ـ رحمه الله ـ عام ١٣٥١هـ ـ ١٩٣٢م ، انظر ترجمته في « من أعلام المسلمين ومشاهيرهم » ص(٢٣٩) .

(٤) التي كانت تجمع بلدي الهند وباكستان قبل انقسامهما .

(٥) كان من كبار المفسِّرين آنذاك في شبه القارة الهندية ، درس على الشيخ عبيد الله أحمد السِّندي . درس عليه العلامة الندوي التفسير ، و« حجة الله البالغة » للإمام ولي الله الدهلوي ، لم أعثر على تاريخ وفاته .

(٦) كان من أكابر الدعاة الذين عرفهم العالم الإسلامي في عصرنا الحاضر ، أسَّس جماعة الدعوة في الخمسينات ، وقد انتشر دعاتها ورجالها اليوم في العالم ، وهي في نشاط مستمر ، وغدو ورواح في جيمع الأقطار الإسلامية وفي أوربا وأمريكا واليابان . توفي ـ رحمه الله . عام ١٣٦٢هـ . وقد ألَّف عليه العلَّامة الندوي كتاباً ، طبع في دار ابن كثير بدمشق بعنوان =

الدعوة إلى الله في الناس خطابةً وكتابةً ، وخرج في سبيل الدعوة مرات في الخافقين داعيةً إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، عاملاً على إعلاء كلمة الإسلام بالكلمة المسموعة والمقروءة وبالعمل الإيجابي البنَّاء في كل مجال ، ودُعِيَ محاضِراً ومفكِّراً وواعظاً هادياً بالرأي والفكر في الجامعات العالمية والمجامع العلمية والمؤسَّسات الإسلامية والمؤتمرات والندوات في مختلف بلدان العالم[1]

* * *

اختُيِرَ نائباً لرئيس اللجنة العُليا للتعليم في دار العلوم ـ نَدْوَة العلماء ، ثم رئيساً ، ثم أميناً عاماً لها ، وبقي على هذا المنصب حتى وفاته ، وشغل بجانب ذلك المنصبِ مناصبَ الرئاسة والعضوية لطائفة من الجمعيات والمجالس في الهند وخارجها .

ـ كرئيس مجلس الأمناء لمركز أكسفورد للدراسات الإسلامية في جامعة أكسفورد ببريطانيا .

ـ ورئيس مجلس الأحوال الشخصية الإسلامية لعُموم الهند

ـ ورئيس المجمع الإسلامي العلمي في لكهنؤ (الهند) .

ـ ورئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية (الرياض) .

ـ وعضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة .

ـ وعضو مَجامع اللغة العربية بدمشق والقاهرة والأردن .

* * *

تُوفِّي ـ رحمه الله ـ بالهند في ٢٢ من شهر رمضان المبارك ١٤٢٠هـ (الموافق ٣١ من شهر ديسمبر ١٩٩٩م) وذلك عقب نَوْبة قلبية مُفاجئة ، رحمه الله وتغمَّده في

= « الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي ودعوتُه إلى الله » .

(١) يرجع للاطلاع على تلك رحلاته الدعوية في الخافقين إلى كتاب « رحلات العلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي » إعداد المحقِّق ، طبع دار ابن كثير بدمشق عام ١٤٢٢هـ (٢٠٠١م) .

واسع جنَّاته

* * *

للعلاَّمة مؤلَّفاتٌ قيِّمة في الفكر والدعوة والأدب والسِّيرة ، منها الكبيرة الهامَّة والصغيرة المحدودة الحجم التي تقع في مئة صفحة ، بل أكثر ، فمِن أشهرها :

١ ـ ماذا خَسِرَ العالمُ بانحطاط المسلمين ؟!

٢ ـ الصِّراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية

٣ ـ رِجال الفكر والدعوة في الإسلام (أربع مجلَّدات)

٤ ـ السيرة النبوية .

٥ ـ المدخل إلى الدِّراسات القُرآنية .

٦ ـ الأركان الأربعة في ضوء القرآن والسنة

٧ ـ المُرتضىٰ

٨ ـ مُختاراتٌ من أدب العرب (مجلَّدان)

٩ ـ الطريق إلى المدينة .

١٠ ـ إلى الإسلام من جديد .

١١ ـ المسلمون وقضية فلسطين

١٢ ـ رَوائع إقبال

١٣ ـ روَائعٌ من أدب الدعوة في القرآن والسِّيرة

١٤ ـ العقيدة والعبادة والسلوك .

١٥ ـ إذا هبَّتْ ريحُ الإيمان .

١٦ ـ الإسلام وأثرُه في الحضارة وفضله على الإنسانية .

١٧ ـ التَّربية الإسلامية الحُرَّة .

١٨ ـ القادياني والقاديانية دراسة وتحليل

١٩ ـ المسلمون في الهند .

٢٠ ـ مذكِّرات سائح في الشرق العربي .

٢١ ـ شخصياتٌ وكُتبٌ .

٢٢ ـ في مسيرة الحياة (ثلاثة أجزاء)

٢٣ ـ ربَّانية لا رهبانيَّة .

٢٤ ـ قصص النَّبيين (للأطفال)

٢٥ ـ سيرة خاتم النبيين ﷺ (للأطفال) .

٢٦ ـ قصصٌ من التاريخ الإسلامي (للأطفال)

وللعلاَّمة الندوي ـ غير هذه المؤلَّفات والكُتب ـ مئاتُ المقالات والمحاضرات في الفكر والدَّعوة وفي موضوعات مختلفة ، وقد أعددناها ونشرنا بالعناوين التالية :

١ ـ محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة (٣ مجلدات)

٢ ـ مقالات إسلامية في الفكر والدَّعوة (مجلَّدان)

٣ ـ مقالات في السيرة النبوية .

٤ ـ دراسات قرآنية .

٥ ـ من أعلام المسلمين ومشاهيرهم .

٦ ـ أبحاث في التعليم والتربية الإسلامية .

٧ ـ بحوث في الاستشراق والمستشرقين .

٨ ـ أبحاث حول الحضارة الإسلامية والغربية .

٩ ـ اسمعيَّات .

١٠ ـ خطابات صريحة إلى الأمراء والرؤساء

١١ ـ مكانة المرأة في الإسلام[1][2]

* * *

---

(١) وقد صدر جميع هذه الكُتب من دار ابن كثير بدمشق في سلسلة « تراث العلامة الندوي »

(٢) مَن يريد الاستزادة من الاطلاع على حياته فليقرأ كتاب « أبو الحسن علي الحسني الندوي الإمام المفكِّر الداعية الأديب » (الطبعة الثالثة) للمحقِّق ، طبع دار ابن كثير بدمشق .



القسم الأول[1]

الشهادات

بسُمُوّ البيان النبوي ،

وعُلُوّ فصاحته ، وإبداعه

- شهادة الله تعالى
- أحاديث نبويّة في البلاغة التي أوتِيَها ﷺ
- شهادة الصحابة رضوان الله عليهم
- شهادة أئمّة واللغة والأدب

---

(١) من إضافات المحقّق إلى الكتاب .

الشهادات

بسُمُوّ البيان النبويّ ، وعُلُوّ فصاحته ، وإبداعه

شهادة الله تعالى :

لقد تحدَّثَ القرآنُ ودلَّ على سُمُوِّ بلاغة النبيِّ ﷺ ، وعُلوِّ بيانه وأسلوبه في مواضع عديدة سمّى فيها الحديث النبوي « حكمة » ، وتحدَّث عن ذلك أيضاً في مناسبة معقَّدة جدّاً ، تتطلَّب غاية القوَّة في التأثير ، ونفاذ البيان ، لتحويل أناس منحرفين منافقين عن انحرافهم ونفاقهم ، إلى جادَّة الاستقامة والإخلاص . فقال الله تبارك وتعالى :

﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴾[1]

وهذه الآيةُ شهادةٌ من الله لرسوله ﷺ بغاية القدرة على الكلام البليغ ، والبيان الناجع الأثر في أعماق النفوس ، فقد أمره الله تعالى أن يعظ هؤلاء المنافقين ليرتدعوا عن نفاقهم ، وأن يقول لهم ﴿ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴾ ، فكان أمره ﷺ بهذا الأمر شهادة له بغاية القدرة على الكلام البليغ ، والأسلوب العميق الأثر في النفوس ، مع الحكمة البالغة أقصاها لكي يضع الكلام في موضعه .

---

(١) سورة النساء ، الآية : ٦٣

وإنَّما آتاه الله تعالى هاتين المزيَّتين على وجه الكمال بالنبوَّة والقرآن ، لم يكن قبل النبوة مشهوراً بين قومه بالفصاحة والبلاغة . . . إنما كان مشهوراً بالأمانة ، والفضيلة ، والصِّدق ، وأمَّا دليلنا على أن الحكمة العُليا كالبلاغة العليا ، قد كمَّله اللهُ بها بحقِّ النبوَّة فنصوص القرآن ، والتي منها ما سيأتي في هذه السُّورة ، قولهُ تعالى : ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾[1](2)

أحاديثُ نبويةٌ في البلاغة التي أوتيها :

عن عُمَرَ ـ رضي الله عنه ـ أنَّ النبيَّ ﷺ قال وهو على المنبر : « يا أيُّها الناسُ ! إنِّي قَد أُعطِيْتُ جَوَامِعَ الكَلِم وخَوَاتِيْمِهِ ، واخْتُصِرَ لِيَ اخْتِصَاراً ، وقَدْ أَتَيْتُكُمْ بِهَا ـ أي الشَّرِيْعَةَ ـ بَيْضَاءَ نَقِيَّة »[3]

وعن عَبْدِ الله بن عَمْرو ـ رضي الله عنهما ـ يَقُوْلُ : خَرَجَ علينا رسولُ الله ﷺ يوماً كالمودِّع ، فقال : « أَنَا مُحَمَّدُ النَّبِيُّ الأُمِّيُّ ـ قَالها ثلاثَ مرَّاتٍ ـ وَلَا نَبِيَّ بَعْدِيْ ، أُوْتِيْتُ فَوَاتِحَ الْكَلِمِ وخَوَاتِيْمِهِ ، وجَوَامِعَهُ . . . »[4] .

وعن ابْنِ عُمَرَ ـ رضي الله عنهما ـ قالَ : قال عُمر : يَا نَبِيَّ اللهِ مالَكَ أَفْصَحُنَا ولَمْ تَخْرُج مِن بيْنِ أَظْهُرِنَا ؟! فقال ﷺ : « كَانَتْ لُغَةُ إسْمَاعِيْلَ قَدْ

---

(1) سورة النساء ، الآية ١١٣

(2) من « في ظلال الحديث النبوي » لفضيلة أستاذنا الدكتور نور الدين عِتر بتصرُّف يسير ، صفحة (١١) .

(3) ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١/ ١٧٣) ، وقال : « رواه أبو يعلى ، وفيه عبد الرحمن بن إسحاق [الواسطي] ضعَّفه أحمد وجماعة » . والديلمي في « الفردوس » (٥/ ٢٧٧) برقم (٨١٧٤) ، والعجلوني في « كشف الخفاء » (١/ ١٥) برقم (٨) .

(4) أخرجه أحمد في المسند (١/ ١٥) برقم (٨) ، رقم الحديث (٦٣١٨) ، (٦٦٨٦) .

دَرَسَتْ فَجَاءَنِيْ بِهَا جِبْرِيلُ ، فَحَفِظْتُهَا »[١]

شهادة الصحابة رضوان الله عليهم :

حديثُ حَنْظَلَةَ بن الرَّبيع المشهور قال : (لقيني أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ فقال : كيف أنتَ يا حَنْظَلَةُ ؟ قال : قلتُ : نافَقَ حَنْظَلة !. قال سُبْحَان الله ! ماتقول ؟. قال : قلتُ : نكونُ عندَ رسول الله ﷺ ويُذَكِّرُنا بالنَّارِ والجنَّةِ ، حتى كأنَّا رَأْيُ عَيْن[٢] ، فإذا خَرَجْنا من عندِ رسول الله ﷺ عَافَسْنَا[٣] الأَزْواجَ والأوْلادَ والضَّيْعاتِ[٤] ، فَنَسِيْنَا كثيراً . . . » الحديث إلى أنْ قال رسول الله ﷺ : « والَّذِي نَفْسِي بِيَدِه ! إنْ لَوْ تَدُوْمُوْنَ عَلىٰ مَا تَكُوْنُوْنَ عِنْدِي ، وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلائكَةُ عَلىٰ فُرُشِكُم ، وَفِي طُرُقِكُم ، ولَكِنْ يا حَنْظَلَةُ ! سَاعَةً وَسَاعَةً »[٥]

وقال العِرْباضُ بن سارِيَةَ ـ رضي اللهُ عنه ـ : صَلَّى بِنَا رَسُولُ الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ[٦] مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ[٧] مِنْهَا الْقُلُوبُ ، فقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللهِ ! كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا ؟ فقَالَ : « أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، وَإِنَّ

---

(١) ذكره المناوي في فيض القدير : (٥/ ٨١) .
(٢) قال القاضي : ضبطناه رأيُ عين بالرَّفع ، أي : كأنَّا بحال من يراها بعينه ، قال : ويصح النصب على المصدر ، أي نراها رأيَ عين .
(٣) عَافَسْنَا : خَالَطْنَا ولاعبنا .
(٤) الضَّيْعَة : معاش الرجل مِن مال أو حِرفة أو صناعة .
(٥) أخرجه مسلم في كتاب التوبة : باب فضل دوام الذكر والفكر . . . رقم الحديث (٢٧٥٠) ، والترمذي في أبواب صفة القيامة . . . باب حديث حنظلة ، (٢٥١٤) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وأحمد في المسند (٤/ ٣٤٦) برقم (١٩٠٦٧) .
(٦) ذَرَفَتْ : دَمَعَتْ .
(٧) وَجِلَتْ : خَافتْ وفَزِعتْ .

عبْداً حَبَشيًّا فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنكُمْ بَعْدِي فسَيَرَى اخْتِلَافاً كَثِيراً ، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّواجِذِ[1] ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ[2]

شهادة أئمة الأدب واللغة :

قال الإمامُ المفسِّرُ اللغويُّ العلَّامة جارُ الله محمود بن عُمر الزَّمَخْشَرِيّ[3]

« هذا اللِّسانُ العربيُّ كأنَّ الله ـ عزَّت قدرتُه ـ مَخَضَه وأَلقى زُبْدَتَه على لِسان محمَّد عليه وآله أفضَل صلاة وأوفَر سلام . فما من خطيبٍ يُقاومه إلا نَكَصَ متفكِّكَ الرِّجْل[4] ، وما من مِصْقَعٍ يُنَاهِزُه إلَّا رَجَع فارغَ السَّجْل ، وما قُرِنَ بمنطِقِه مَنطقٌ إلا كان كالبِرْذَوْنِ[5] مع الحِصان المُطَهَّم[6] ولا وقَعَ من كلامه شيءٌ في كلام الناس إلا أشبه الوَضَح في نَقَبَةِ الأَدْهَم »[7]

---

(١) النَّوَاجذ : الأنياب ، وقيل : الأضراس .

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب السنة ، باب في لزوم السنة ، برقم (٤٦٠٧) ، والترمذي في أبواب العلم ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة والاجتناب عن البدع ، برقم (٢٦٧٦) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وأحمد في المسند (١٢٦/٤) برقم (١٧١٨٤) ، والدارمي في المقدمة ، باب اتباع السنة ، برقم (٩٥) .

(٣) في « الفائق في غريب الحديث » (١/ ١١)

(٤) متفكِّك الرجل : كناية عن العي ، والعجز عن المقاومة .

(٥) البِرْذَوْن : من الفصيلة الخَيْلِيَّة : عظيم الخِلْقة ، غليظ الأعضاء ، قويّ الأرجل ، عظيم الحوافِر .

(٦) المُطَهَّم : المتناهي الحُسن .

(٧) الأَدْهَم : القديم من آثار الدار .

قال عليه الصَّلاة والسَّلام « أُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ »[1] وقالَ : « أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ بَيْدَ أَنِّيْ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَاسْتُرْضِعْتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْن بَكْر »[2][3]

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب المساجد ومواضع الصلاة ، برقم (١١٧١) و(١١٧٢) ، والترمذي في أبواب السير ، باب ما جاء في الغنيمة ، برقم (١٥٥٣) ، وابن حبان في الصحيح (١٤/ ٣١١) برقم (٦٤٠١) ، وأحمد في المسند (٢/ ٢٥٠) برقم (٧٣٩٧) و(٢/ ٣١٤) برقم (٨١٣٥) وغيرهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) هم بنو سعد بن بكر ، وكانوا من العرب الضاربة حول مكة ، وكان أطفال القرشيين يتبدون فيهم وفي غيرهم يطلبون بذلك نشأة الفصاحة ، ولا يزال كُبراء مكة إلى اليوم يُرسِلون أحداثَهم إلى أماكن هذه القبائل من البادية ، وخاصةً إلى قبيلة عدوان في شرق الطَّائف وهي قريبة من بني سعد ، وإنما يطلبون بذلك إحكام اللهجة العربية ، وصحة النشأة ، وحرية النزعة ، وما إليها ممّا هو الأصل في هذه العادة يتوارثونها في التربية العربية من قديم . وبنو سعد هؤلاء غير بني سعد بن زيد مناة بن تميم الذين من لغتهم إبدال الحاء هاء لقرب المخرج ، وليست لغتهم خالصة في الفصاحة . والرُّواه جميعاً على أن بني سعد بن بكر خصّوا من بين قبائل العرب بالفصاحة وحُسن البيان . (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : للرافعي ، ص : ٢٨٥ ـ ٢٨٦) .

(٣) لم أجد الحديثَ بهذه اللفظ ، إنما وجدتُه في « تلخيص الحبر » لابن حجر (٤/ ٦) : « أنا سيِّد ولد آدم ، بيد أني من قريش ، ونشأت في بني سعد ، واسترضعتُ في بني زهرة » وقال الحافظ : ويروى « أنا أفصح العرب بيد أني من قريش » إلى آخره ، كأن الفظ الأول مقلوب ، فإنه نشأ في بني زهرة ، وارتضع في بني سعد ، وقد روى الطبراني في الكبير من حديث أبي سعيد الخدري رفعه : « أنا النبي لا أكذب ، أنا ابن عبد المطلب ، أنا أعرب العرب ، ولدتني قريش ، ونشأتُ في بني سعد بن بكر ، فأنّى يأتيني اللحن ؟! » وفي إسناده مبشر بن عبيد ، وهو متروك . . . » . (انظر أيضاً للتقصي في « فيض القدير » للمناوي ، (٣/ ٣٨) ، و« خلاصة البدر المنير » لابن المقلن ، (٢/ ٢٥١) ، و« المصنوع في معرفة الحديث الموضوع » لعلي القاري ، ص : (٦٠) ، الحديث (٤٠) و« كشف الخفاء » للعجلوني ، (١/ ٢٣٢) ، برقم : (٦٠٩) .

وقال الإمامُ القاضي عِيَاضُ بن موسى اليَحْصُبِيّ السَّبْتِي[1]

« وأمّا فصاحةُ اللِّسان ، وبلاغة القول ، فقد كان النبيُّ ﷺ من ذلك بالمحَلِّ الأَفْضَل ، والموضع الذي لا يُجْهل ، سلاسةَ طبع ، وبَرَاعةَ مَنْزَعٍ[2] ، وإيجازَ مَقْطَعٍ[3] ، ونَصَاعةَ لفظٍ[4] ، وجَزَالة قولٍ[5] ، وصِحَّةَ معانٍ ، وقِلَّةَ تَكَلُّفٍ » .

« أُوتِيَ جوامعَ الكَلِم ، وخُصَّ بِبَدائع الحِكَم ، وعُلِّمَ ألسنةَ العرب ، يُخاطِبُ كلَّ أمَّةٍ منها بلسانها ، ويُحاوِرُها بلغتها ، ويُبارِيها في مَنْزَعِ بلاغَتِها ، حتى كان كثيرٌ من أصحابه يسألونه في غير موطنٍ عن شرح كلامه ، وتفسير قولِه ، مَنْ تأمَّل حديثَه وسَبَرَه[6] ، عَلِمَ ذلك وتحقَّقَه »

وقال أديبُ العربية الكبير الأستاذ مصطفى صادق الرافعي ـ رحمه الله ـ[7] :

« هذه هي البلاغةُ الإنسانيةُ التي سجَدَتِ الأفكارُ لآيتها ، وحسرت العقولُ دون غايتها ، لم يُصْنَع وهي من الإحكام كأنَّها مصنوعةٌ ، ولم يُتكَلَّف لها وهي على السهولة بعيدةٌ ممنوعةٌ

ألفاظُ النبوّةِ يَعْمُرُها قلبٌ متصلٌ بجلال خالقه ، ويَصْقُلُها لسانٌ نزل عليه القرآنُ بحقائقه ، فهي إنْ لم تكن من الوحي ، ولكنَّها جاءتْ من

---

(١) في « الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ﷺ » (١/ ٤٤) .
(٢) المَنْزَع : منتهى الأمر ، مأخوذ من نَزَحَ في القوس إذا مداها إلى غايتها .
(٣) المَقْطَع : موضع الوقوف .
(٤) نصاعة الفظ : الناصح الخالص من كل شيء .
(٥) جزالة القول : قوة القول ، وهو يُقابل الرقيق من الكلام .
(٦) سَبَرَه : تعمّق في فهمه .
(٧) في « إعجاز القرآن والبلاغة النبوية » ص : ٢٧٩ ـ ٢٨٠

سبيله ، وإنْ لم يكن لها منه دليلٌ فقد كانت هي مِن دليله ، مُحكمَة الفصول ، حتى ليس فيها عروةٌ مفصولةٌ ، محذوفة الفضول ، حتى ليس فيها كلمة مفضولة . وكأنَّما هي في اختصارها وإفادتها نبضُ قلب يتكلَّم ، وإنما هي في سُموِّها وإجادتها مظهرٌ مِن خواطره ﷺ .

إنْ خرَجَتْ في الموعظة قُلْتَ : أنينٌ من فُؤادٍ مَقْروحٍ ، وإنْ رَاعَتْ بالحكمة قلتَ : صورةٌ بشريةٌ من الروح في مَنْزَعٍ يلين فينفر بالدموع ويشتدُّ فينزو بالدماء ، وإذا أراك القرآنُ أنه خِطاب السَّماء للأرض أراك هذا أنه كلام الأرض بعد السّماء .

وهي البلاغةُ النبويةُ ، تعرف الحقيقةَ فيها كأنها فكرٌ صريحٌ من أفكار الخليقة ؛ وتجيء بالمجاز الغريب فترى من غرابته أنه مجازٌ في حقيقة . وهي من البيان في إيجاز تتردَّد فيه « عَينُ » البليغ فتعرفه مع إيجاز القرآن فَرْعين ؛ فَمن رآه غير قريب من ذلك الإعجاز فليعلم أنه لم يلحق به هذه « العَينْ » . على أنه سواء في سُهولة إطماعه ؛ وفي صعوبة امتناعه ؛ إنْ أخذ أَبلغ الناس في ناحيته ، لم يأخذ بناصيته ، وإنْ أَقدم على غير نظر فيه رجع مبصراً ، وإنْ جرى في معارضته انتهى مُقْصِراً » .

* * *



القسم الثاني

الأَدبُ النَّبويّ

- نماذجُ للأدب النبويِّ في الأحاديث .
- جوامع كلمة ﷺ في معنى الإحسان .
- قطعةٌ رائعةٌ ومثالٌ بليغٌ للحكمة النبوية ، والبلاغة العقلية .
- وصفٌ بليغٌ لكلام النبيِّ ﷺ .
- قطعٌ أدبيةٌ ساحِرةٌ في كُتب الحديث والسِّيرة .

الأدبُ النبويّ

ما ظَنُّكَ ببَشرٍ ذلَّ بالقرآن لِسانُه ، وامتزجَ القرآنُ بلحمه ودمه ، وجرى فيه مجرى الرُّوح ، وأخذ بقلبه واستأثر بلُبِّه ، بل أُشرِب في قلبه القرآنُ ، وتمكَّن منه ما الله أَعلم به ؟ فإن لم يكن كلامه بعد ذلك من الوحي ـ فكما قال أخونا الشاعر مصطفى صادق الرَّافعي[1] ـ « قد جاءَ من سبيله ، وإنْ لم يكن له منه دليلٌ فقد كان هو مِن دليله »[2] ، قد عبَّد له الوحي طريق الكلام ، وذلَّله .

كما كان بعد السَّيلِ مَجْرَاهُ مَرتعاً[3]

ما ظنُّكَ بمولودٍ من بني هَاشِم ، وَلدتْه أمُّ القُرى ؟ نشأَ في بني سَعْد بن بكر ، وعاش في قُريش ، أخوالُه بنو زُهرة ، تزوَّج في بني أَسَدٍ ، وهاجر إلى بني عَمْرو[4]

---

(١) هو مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي ، عالم بالأدب ، شاعر ، من كبار الكتَّاب . أصله من طرابلس الشام ، توفي في طنطا (بمصر) عام ١٩٣٧م ، شعره نقي الديباجة ، على جفاف في أكثره ، ونثره من الطراز الأول . (الأعلام : للزركلي ، ٧/ ٢٣٥) .

(٢) انظر : « إعجاز القرآن والبلاغة النبوية » للرافعي ص : ٢٧٩

(٣) قاله الحسينُ بن مُطَير الأسدي كما في « البيان والتبيين » (٣/ ٥٣١ ـ ٥٣٢)، وشطره الأول:
فتىً عِيْشَ في معروفِهِ بعد موتِهِ

(٤) وأفصح القبائل الذين هم مادة اللغة فيما نصَّ عليه الرواة : قيس ، وتميم ، وأسد ، والعجز من هوازن الذين يُقال لهم علينا هوازن ، وهم خمس قبائل أو أربع ، منها : سعد بن بكر ، =

ما ظنُّكَ ببشرٍ ؟ يقول فيه نَاعِتُه[1] « مُتَواصِل الأحزانِ ، دائمُ الفكرة ، ليستْ له راحةٌ ، ولا يتكلَّمُ في غير حاجةٍ ، طويلُ السُّكوت[2] ، يفتحَ الكلامَ ويختمه بأَشْداقه[3] . . . ويتكلَّم بجَوَامِع الكَلِم[4] ، فصلاً لا فضولَ فيه ، ولا تقصير[5] »[6] اقرأْ فصلاً للجَاحِظ[7] في بيان أفضل

= وجُشم بن بكر ، ونَصر بن معاوية ، وثقيف . قال أبو عُبيدة : وأحسب أفصح هؤلاء بني سعد بن بكر ، وذلك لقول رسول الله ﷺ : « أنا أفصح العرب بيد أني من قُريش » وأني نشأتُ في بني سعد بن بكر ـ وكان مسترضعاً فيهم ـ ولم تزل هوازن وتميم وأسد متميزة بخلوص المنطق وفصاحة اللغة إلى آخر القرن الرابع للهجرة . (تاريخ آداب العرب : للرافعي ، ١/ ١٣٢ ـ ١٣٣)

(١) ناعِتُه : هو هند بن أبي هالة التميمي ، ربيب النبيِّ ﷺ ، أمُّه خديجة زوج النبي ﷺ ، رَوى عن النبي ﷺ ، ورَوى عنه الحسن بن علي صفة النبي ﷺ ، قُتِلَ هند مع علي ـ رضي الله عنه ـ يوم الجمل ، كان فصيحاً بلغياً ، وصف النبي ﷺ فأحسنَ وأتقنَ . (الإصابة في تمييز الصحابة : لابن حجر العسقلاني » (٦/ ٥٥٧) باختصار) .

(٢) في بعض الأحاديث : كان سكوتُه ﷺ على أربع : على الحلم ، والحذر ، والتقدير ، والتفكير . (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : ص ٢٩٠)

(٣) أي يستعمل جميع فمه للتكلم ، لا يقتصر على تحريك الشفتين ، وذلك من قوّة المنطق والصوت والمعنى ، وحضور الذهن واجتماعه .

(٤) هي التي تجمع المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة مع حكمةٍ وسُموٍّ بلاغةٍ

(٥) أي قولاً فصلاً يُصيب به مقطع المعنى ، لا حشوَ فيه فيزيد ولا تقصير فيقلّ .

(٦) ننقل هنا ما بعده ، يقول : « دمثٌ ليس بالجافي ، ولا المُهين ، يُعظِّم النعمة وإن دَقَّتْ ، لا يذُمُّ منها شيئاً ولا يمدحه ، ولا يقومُ لغضبِه ـ إذا تُعُرِّض للحق ـ شيءٌ حتى ينتصر له . وفي رواية : لا تُغضبه الدُّنيا وما كان لها ، فإذا تُعُرِّض للحق لَم يعرفه أحدٌ ولم يقمْ لغَضبِه شيءٌ حتى ينتصر له ، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصرها ، إذا أشارَ أشارَ بكفِّه كلِّها ، وإذا تعجَّب قَلَبَها ، وإذا تحدَّث يصل بها يضرب براحتِه اليُمنى باطِن إبهامه اليُسرى ، وإذا غضب أَعرض وأَشاح ، وإذا فرح غضَّ طرفه ، جُلُّ ضِحْكِه التبسُّم ، ويفترُّ عن مِثْل حبِّ الغُمام . (حياة الصحابة : للكاندهلوي ، (١/ ٩١ ـ ٩٢)

(٧) هو أبو عثمان عمرو بن بكر الجَاحِظ ، وُلد بالبصرة ونشأ بها ، وتخرَّج في جميع الفنون السائرة في عصره ، وضرب فيها بسهم وافر ، وصنَّف وألَّف وجمع وكتب ، وراسلَ وأنشأ ، كان دميمَ الخلقة ، لطيف الروح ، ذكيَّ الفؤاد ، فكهَ المحاضرة ، معتزليَّ العقيدة . أما الكتابة =

الكلام[١] ـ والقولُ ما قَالتْ حَذَامِ[٢] ـ قال رحمه الله « أحسنُ الكلام ماكان قليلُه يُغنِيك عن كثيره ، ومعناه في ظاهر لفظه ، وكان اللهُ عزَّ وجلَّ قد أَلبسه مِن الجلالة ، وغشَّاه من نور الحِكْمة على حسب نيَّة صاحبه وتقوى قائله . فإذا كان المعنى شريفاً ، واللفظ بليغاً ، وكان صحيحَ الطَّبع ، بعيداً مِن الاستكراه ، منزَّهاً عن الاختلال ، مَصُوناً عن التكلُّف صنع في القلب صَنِيْع الغَيْثِ في التُّربة الكريمة ومتى فَصَلَتِ الكلمةُ على هذه الشريطة ، ونفذتْ مِن قائلها على هذه الصفة ؛ أصحبها الله من التوفيق ، ومنحها من التأييد مالا يمتنع من تعظيمها به صدور الجبابرة ، ولا يذهل عن فهمها معه عقولُ الجهلة »[٣]

= فهو فيها نابغة العرب وإمام الصِّناعة ، صاحب أسلوب خاص ، هو أبو عذرته ، ويكاد يكون خاتمه ، تمتاز كتابته بسهولة العبارة وجزالتها ، وتقطيع الجملة إلى فقرات كثيرة مقفاة أو مرسلة ، وزيادة الإطناب في الألفاظ والجمل ، والاستطراد ومزج الجد والهزل ، وتحكيم العقل والمنطق ، والاعتراض بالجمل الدعائية ، وبعد ذلك كله تصوير المجتمع الذي يعيش الكاتب فيه وبيان خلاق عصره وعوائدهم ، توفي سنة ٢٥٥هـ . ومن كُتبه الشهيرة كتاب « البيان والتبيين » و« البُخلاء » و« الحيوان » و« ديوان رسائل » و(مختارات من أدب العرب : للعلاَّمة أبي الحسن الندوي ، (١/ ٧١) .

(١) في « البيان والتبيين » باب البيان ، (١/ ٦١)

(٢) الكلامُ الواردُ بين المعترضتين هو الشطر الثاني لهذا البيت :

إذا قالتْ حَذَامِ فصَدِّقُوْها فإنَّ القَوْلَ مَا قَالَتْ حَذَامِ

والبيت قيل : إنه لديسم بن طارق أحد شعراء الجاهلية . والصواب كما في « لسان العرب » (مادة رقش) أنه للُجَيْم بن صلب والد حنيفة وعجل ، وحَذَام امرأته وفيها يقوله ، والتي عُرفت بصدق القول دائماً . . . .

(٣) وقد قال عامر بن عبد القيس : « الكلمةُ إذا خرجت مِن القلب وقعت في القلب ، وإذا خرجتْ من اللِّسان لم تجاوز الآذان . (البيان والتبين : للجاحظ ، ص : ٦١)

[نماذج للأدب النبوي في الأحاديث] :

ثم انظرْ إلى قول النبي ﷺ :

١ ـ « مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ ، كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضاً ، فكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ[١] ، قَبِلَتِ الْمَاءَ ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ[٢] والعُشْبَ الكَثِيرَ ، وكانتْ مِنْهَا أَجَادِبُ[٣] أَمْسَكَتِ الْمَاءَ ، فنَفَعَ اللهُ بها النَّاسَ ، فشَرِبُوا وسَقَوا وزَرَعُوا ، وأَصَابَ مِنْهَا طَائِفةً أُخْرَى ، إنَّما هِي قِيْعَانٌ[٤] ، لَا تُمْسِك ماءً ، ولا تُنْبِتُ كلأً ، فذٰلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِيْنِ اللهِ ، ونَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ ، فعَلِمَ ، وعَلَّمَ ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بذلِكَ رأساً ، ولَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ به »[٥]

٢ ـ « الحَلَالُ بَيِّنٌ[٦] ، والحَرَامُ بَيِّنٌ[٧] ؛ وبَيْنَهُمَا مُشَبَّهاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كثيرٌ مِن النَّاس ، فمَنِ اتَّقى المُشَبَّهاتِ اسْتَبْرَأَ لدِيْنِهِ وعِرْضِهِ ، ومَنْ وَقَعَ في الشُّبُهَاتِ كرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى[٨] ، يُوْشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ ، أَلَا وإنَّ لكُلِّ

---

(١) نقيّة ، أي : طيبة .

(٢) الكلأُ : النبات سواء أكان يابساً أو رطباً .

(٣) أجادبُ : جمع جَدَب ، أرض تشرب الماء ، ولا تنبت .

(٤) قِيْعَان : جمع قاعٍ ، وهو أرض ملساء ومستوية لا تنبت

(٥) أخرجه البخاري في كتاب العِلم ، باب فضل مَن علِم وعلَّم ، برقم (٧٩) ، ومسلم في كتاب الفضائل ، باب بيان مثل ما بعث النبي ﷺ من الهُدى والعلم ، برقم (٥٩٥٣)

(٦) « إنَّ الحلالَ بيِّنٌ » ، أي : إن الحلال الخالص من احتمالات وشبهات الحرام ظاهر واضح تُدركه العقول السليمة وتحسُّ به القلوبُ التي مازالت على فطرتها الصافية النقية

(٧) « وإنَّ الحرامَ بيِّنٌ » أي : إن الحرام الخالص من احتمالات وشبهات الحلال ظاهر واضح تُدركه العقول السليمة ، وتحسُّ به القلوبُ التي ما زالتْ على فطرتها الصافية النقية (روائع من أقوال الرسول : للشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، ص : ٢٠٥)

(٨) الحِمَى : المكان أو الزرع أو الشيء المحميّ الذي حماه صاحبه ، أي : منعه ودفع عنه ، وحرَّم الدخول إليه أو الرتع فيه ، أو الأخذ منه .

مَلِكٍ حِمًى ، أَلَا إنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ ، أَلا وإنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً[1] إذا صَلَحَتْ ؛ صَلَحَ الْجَسَدُ كلُّه ، وإذا فَسَدَتْ ؛ فَسَدَ الْجَسَدُ كلُّه ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ »[2]

٣ ـ « إنَّ أكثَرَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مَا يُخْرِجُ اللهُ لَكُمْ مِن بَرَكاتِ الأَرْضِ » قِيلَ : وَمَا بَرَكاتُ الأَرْضِ ؟ قَالَ : « زَهْرَةُ الدُّنيا » ، لَا يأْتِي الخَيْرُ إلَّا بِالْخَيْرِ ، إنَّ هذا المَالَ خَضِرةٌ حُلْوَةٌ ، وإنَّ كُلَّ ما أَنْبَتَ الرَّبِيْعُ يَقْتُلُ حَبَطاً[3] ، أَوْ يُلِمُّ[4] ، إلَّا آكِلَةَ الخَضِرَةِ ، أَكَلَتْ حَتَّى إذَا امْتَدَّتْ خَاصِرَتَاها[5] ؛ اسْتَقْبَلَتِ الشَّمْسَ ، فَاجْتَرَّتْ[6] ، وثَلَطَتْ[7] ، وبَالَتْ ، ثمَّ عَادَتْ ، فأَكَلَتْ . وإنَّ هذا المالَ حُلْوَةٌ ، مَنْ أَخَذَهُ بِحَقِّهِ ، ووَضَعَهُ فِي حَقِّهِ ، فنِعْمَ الْمَعُوْنَةُ هُوَ ، ومَنْ أَخَذَهُ بغَيْرِ حَقِّهِ كَانَ كالَّذِي يَأْكُلُ ، ولَا يَشْبَعُ »[8]

٤ ـ لو أَنَّ لابْنِ آدَمَ مِثْلَ وادٍ مالًا لأَحَبَّ أنَّ لَهُ إلَيْهِ مِثْلَهُ ، وَلَا يَمْلأُ عَيْنَ

---

(١) المُضْغَة : هي القطعة من اللَّحم بقدر ما يمضغ الإنسانُ في فيه .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ، باب فضل من استبرأ لدينه ، برقم (٥٢) ، ومسلم في كتاب المساقاة والمزارعة ، باب أخذ الحلال وترك الشبهات ، برقم (٤٠٩٤) .

(٣) حَبَطاً : امتلاء البطن وانتفاخه من الإفراط في الأكل .

(٤) يُلِمُّ : يُقرِّب من القتل والإهلاك .

(٥) الخاصِرة : ما بين رأس الورك وأسفل الأضلاع ، وهما خاصِرتانِ .

(٦) اجْتَرَّتْ ، أي : أخرجتْ جِرَّتَه . والجِرَّةُ : هي المَعِدَة .

(٧) ثَلَطَتْ ، من الثَّلْط : هو الرجيع الرقيق ، وأكثر يُقال للإبل والبقرة والفيلة ، ومنه حديث علي رضي الله عنه : « كانوا يبعرونَ وأنتم تثلِطونَ ثَلْطاً » أي : كانوا يتغوَّطون يابِساً كالبَعَر ، لأنهم كانوا قليلي الأكل والمآكلِ ، وأنتم تثلِطُونَ رقيقاً ، وهو إشارة إلى كثرة المآكِل وتنوُّعها . (النهاية : ١/ ٢٢٠) .

(٨) أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخُدري ، في كتاب الرقاق ، باب مايُحذر من زهرة الدُّنيا ، والتَّنافس فيها ، برقم (٦٤٢٧) .

ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ ، وَيَتوْبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ »[1]

٥ ـ « سَبْعَةٌ[2] يُظِلُّهُمُ اللهُ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ » . . . الحديث ، وفيه « ورَجُلٌ تَصَدَّقَ بصَدَقةٍ فأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمُ شِمَالُهُ ماتُنْفِقُ يَمِيْنُهُ ، ورَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِياً ففَاضَتْ عَيْناهُ »[3]

٦ ـ إنَّ الْمُكْثِرِيْنَ هُمُ الْمُقِلُّوْنَ يَوْمَ القيامة إلَّا مَنْ أَعْطَاهُ اللهُ خَيْراً ، فَنَفَحَ فِيْهِ يَمِيْنَهُ وَشِمَالَهُ ، وبَيْنَ يَدَيْهِ ووَرَاءَهُ ، وعَمِلَ فِيْهِ خَيْراً »[4]

٧ ـ « سُبْحَانَ الله ! مَاذا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الْفِتَنِ[5] ، وماذا فُتِحَ مِنَ

---

(١) أخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه ، في كتاب الرِّقاق ، باب ما يُتقى من فتنة المال ، برقم (٦٤٣٧) .

(٢) السَّبْعة ، وهم كما جاء في هذا الحديث نفسه :
- الإمام العادل ،
- وشابٌّ نشأ في عِبادة ربِّه ،
- ورجُلٌ قلبه معلَّق في المساجِد ،
- ورجُلان تحابَّا في اللهِ اجْتمعا على ذلك وتفرَّقا عليه ،
- ورجُلٌ طلبتْه [امرأةٌ] ذاتُ منصبٍ وجمالٍ فقال : إنِّي أخاف الله ،
- ورجُلٌ تصدَّق أخفى حتى لا تعلمُ شِمالُه ما تُنفِق يمينُه ،
- ورجُل ذكر الله خالياً ففاضَتْ عيناهُ

(٣) أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه ، في كتاب الأذان ، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة . . . ، برقم (٦٦٠) ، ومسلم عنه أيضاً في كتاب الزكاة ، باب فضل إخفاء الصدقة ، برقم (٢٣٨٠)

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب : المكثرون وهم المقلّون . . . ، برقم (١١١٨) وفي « الأدب المفرد » باب قول الرجل نفسي لك الفداء ، برقم (٨٠٣) ، ومسلم في كتاب الزكاة ، باب الترغيب في الصدقة ، برقم (٩٤) ، وابن حبان في الصحيح (١/ ٤٢٣) برقم (١٩٥) من حديث أبي ذر رضي الله عنه .

(٥) المراد بالإنزال : إعلام الملائكة بالأمر المقدور ، أو أنَّ النبي ﷺ أُوحي إليه في نومه ذاك بما سيقع بعده من الفتن ، فعبَّر عنه بالإنزال . (فتح الباري ١/ ٢٥٤) .

الْخَزَائِنِ[1] ، أَيقِظُوا صَوَاحِبَاتِ الْحُجَرِ[2] ، فَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الآخِرَةِ »[3]

٨ ـ قيل : يا رَسُوْلَ اللهِ ! وما الجَسْرُ ؟ قال : مَدْحَضَةٌ[4] مَزِلَّةٌ[5] عليه خَطَاطِيْفُ[6] وكَلَالِيْبُ[7] ، وحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ[8] لَها شَوْكَةٌ عَقِيْفَةٌ تَكُوْنُ بنَجْدٍ ، يُقالُ لَها السَّعْدَانُ[9] ، المُؤْمِنُ عَلَيْهَا كالطَّرفِ[10] وكالبَرْقِ وكالرِّيحِ وكأَجَاوِيْدِ[11] الخَيْلِ والرِّكابِ ، فنَاجٍ مُسَلَّمٌ ، وناجٍ مَخْدُوْشٌ ، ومَكْدُوْسٌ[12] في نَارِ جَهَنَّم »[13]

---

(١) لأن ما يُفتح من الخزائن قد يكون سبباً للفتنة

(٢) وهي منازل أزواج النبي ﷺ ، وإنما خَصَّهن بالإيقاظ ، لأنَّهُنَّ حاضرات حينئذٍ ، أو من باب « ابدأ بنفسك ثم بمن تعول » (فتح الباري : ١/ ٢٥٤) .

(٣) أخرجه البخاري عن أمِّ سلمة رضي الله عنها ، في كتاب العِلم ، باب العِلم واليقظة بالليل ، برقم (١١٥) . وفي كتاب التهجد ، باب تحريض النبي ﷺ على قيام الليل والنَّوافل من غير إيجاب ، برقم (١١٢٦)

(٤) مَدْحَضَة : زلق لا تثبتُ عليه قدم .

(٥) مَزِلَّة : تزل فيه الأقدامُ ولا تستقرُّ

(٦) خَطَاطِيْف : جمع خَاطِف ، وهو الحديدة المِعْوَجّة كالكَلُّوب ، يُختَطفُ بها الشيءُ

(٧) الكَلَالِيْبُ ، جمع الكَلُّوب : حديدة معوجة الرَّأس ينزع بها اللحم مِن القِدر

(٨) حسكة مُفلطحة : شوك صلب قوي ذات عرض واتساعٍ

(٩) السَّعدان : نبات شوكيٌّ .

(١٠) كالطَّرفِ ، أي : مثل رمش البصر ولمحته .

(١١) أَجَاوِيْد : هي جمع أجواد ، وأجواد جمع جَواده

(١٢) مكدوس : مدفوع ومطروح

(١٣) أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، في كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ [القيامة ، الآية : ٢٢] ، برقم (٧٤٣٩) .

ومن جوامع كلمه ﷺ في معنى الإحسان :

٩ ـ « أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ ؛ فَإِنَّهُ يَرَاكَ »[١]

١٠ ـ وقوله « إنَّما النَّاسُ كَالإِبِلِ الْمِئَةِ[٢] ، لَا تَكَادُ تَجِدُ فِيْهَا رَاحِلَةً »[٣]

١١ ـ « بُعِثْتُ فِي نَفْسِ السَّاعَةِ ، فَسَبَقْتُهَا ، كَمَا سَبَقَتْ هٰذِهِ هَذِهِ [لأُصْبُعَيْهِ السَّبَّابَةِ والوُسْطىٰ] »[٤]

١٢ ـ « إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ »[٥]

١٣ ـ « الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلىٰ »[٦]

١٤ ـ « لا تجن يمينُك على شمالك »[٧]

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان . . . ، برقم (٥٠) ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب الإسلام ماهر وبيان خصاله ، برقم (١٠) و(١١) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) يعني أنَّ المرضِيَّ المُنتَجَب من النَّاس في عزَّة وجوده كالنَّجيب من الإبل القوِيِّ على الأَحمال والأسفار الذي لا يُوجد في كثير من الإبل . (النهاية : ١/ ١٥)

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب رفع الأمانة ، برقم (٦٤٩٨) ، والترمذي في أبواب الأدب ، وباب ما جاء في مثل ابن آدم وأجله وأمله ، برقم (٢٨٧٢) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

(٤) أخرجه الترمذي عن المُستورِدِ بن شدَّاد الفِهري ، في الفِتَن ، باب ما جاء في قول النبي ﷺ « بعثت وأنا . . . ، برقم (٢٢١٣) وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ، باب كيف كان بدء الوحي . . . . ، برقم (١) ، وابن ماجه في كتاب الزهد ، باب النية ، برقم (٤٢٢٧) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

(٦) أخرجه البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، في كتاب الزكاة ، باب لاصدقة إلا عن ظهر غِنَى ، برقم (١٤٢٩) ، وفي رواية عن حكيم بن حزام رضي الله عنه أيضاً في الكتاب والباب نفسه ، برقم (١٤٢٧)

(٧) لم أعثر على هذا الحديث في من مصادر الحديث ، والله أعلم

١٥ ـ « المضعف[1] أَمِيرُ الرَّاكِب »[2]

١٦ ـ « إِيَّاكُمْ وَخَضِرَاءَ الدِّمِن »[3]

١٧ ـ « مِنْ حُسْنِ إِسْلاَمِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَالَا يَعْنِيْهِ »[4]

١٨ ـ « الإِثْمُ ما حَاكَ[5] فِي صَدْرِكَ »[6]

---

(١) المضعف الذي به ضعف ـ ومعناه في حديث آخر « سِيروا بسيراً ضعفكم » . ومتى كان الركب على رأي أضعفهم في سيرهم ونزولهم ، فهو أميرهم ، وفي قولٍ يروى لعمر رضي الله عنه المضعف أمير على أصحابه ، وبين هذه وتلك فرق في المعنى وجمال في الصياغة ، والركب أصحاب ا وليس كل أصحاب ركباً (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي ، ص : ٢٤٠) .

(٢) لم أجِد بهذا اللفظ ، إنما وجدتُ : « المضعف أمير الرفقة » كما ذكره شمس آبادي في « عون المعبود » نقلاً عن السيوطي ، انظر : « عون المعبود » (٧/ ٣٠٣)

(٣) خضراء الدمن هي المرأة الحسناءُ في المنبت السُّوءِ ، والحديث أخرجه القضاعي في « مسند الشهاب » ، (١/ ٩٦) برقم (٩٥٧) ، وذكره الزمخشري في « أمثال الحديث » برقم (٨٤) ، ص : ١٢١ ، والديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (١/ ٣٨٢) برقم (١٥٣٧) ، والعجلوني في « كشف الخفاء » (١/ ٣١٩) برقم (٨٥٥) ،

(٤) أخرجه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الزهد ، باب من حسن إسلام المرء برقم (٢٣١٧) ، وابن ماجه في الفتن ، باب كف اللسان في الفتنة ، برقم (٣٩٧٦) ، وأحمد عن حُسين بن علي رضي الله عنهما ، في المسند (١/ ٢٠١) برقم (١٧٣٧) ، ومالك في الموطأ في كتاب حسن الخلق ، باب ما جاء في حسن الخلق ، برقم (١٧١٨)

(٥) حَاكَ : أي : لم ينشرح له الصدر وحصل منه الشكُّ كونه ذنباً

(٦) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة ، باب تفسير البر والإثم ، برقم (٢٥٥٣) ، والحديث بكامله : « البرُّ حسن الخُلُق ، والإثم ماحاكَ في صدرك ، وكرهتُ أن يطَّلع عليه الناسُ » ، والترمذي في أبواب الزهد ، باب ما جاء في البر والإثم ، برقم (٢٣٨٩) وقال : هذا حديث صحيح حسن ، وأحمد في المسند (٤/ ١٨٢) برقم (١٧٦٦٨) وغيرهم من حديث النوَّاس بن سمعان رضي الله عنه .

١٩ ـ « دَعْ مَا يَرِيْبُكَ إِلى مَا لَا يَرِيْبُكَ »[١]

٢٠ ـ « الدِّيْنُ النَّصِيْحَةُ »[٢]

٢١ ـ [« خَيْرُ الْمَالِ عَيْنٌ سَاهِرَةٌ لِعَيْنٍ نَائِمَةٍ[٣] »][٤]

٢٢ ـ [آفَةُ الْعِلْمِ النِّسْيَانُ ، وَإِضَاعَتُه أَنْ تحدِّثَ به غَيْرَ أَهْلِهِ »][٥]

٢٣ ـ [المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ »][٦]

٢٤ ـ [إِنَّما الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُوْلى »][٧]

---

(١) أخرجه الترمذي في أبواب صفة القيامة ، باب حديث أعقلها وتوكل . . . ، برقم (٢٥١٨) ، والنَّسائي كتاب الأشربة ، باب الحث على ترك الشهوات ، برقم (٥٧١٤) ، وأحمد في المسند (١/ ٢٠٠) برقم (١٧٢٣) ، والدارمي في كتاب البيوع ، باب دع ما يريبك . . . . ، برقم (٢٤٣٧) من حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما

(٢) أخرجه مسلم عن تميم الدَّارِي رضي الله عنه ، في كتاب الإيمان ، باب بيان أن الدين النصيحة ، برقم (٥٥) والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه ، في كتاب البر والصلة ، باب [ما جاء] في النصحية برقم (١٩٢٦) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، والنَّسائي عن تميم الداري رضي الله عنه ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، في كتاب البيعة ، باب النصيحة للإمام برقم (٤٢٠٢) و(٤٢٠٣) ، وأبو داود في كتاب الأدب ، باب في النصحية برقم (٤٩٤٤) ، وأحمد عن ابن عباس رضي الله عنه في المسند (١/ ٣٥١) برقم (٣٢٨١) ، والدارمي عن ابن عمر رضي الله عنهما في كتاب الرقاق ، باب الدين النصيحة برقم (٢٦٥٢)

(٣) أراد عَيْن الماء التي تَجْرِي ولا تَنْقَطع ليلاً ونهاراً ، وعَيْن صاحبِها نائمةٌ ، فجعَلَ السَّهر مثلاً لجَرْيها (النهاية : ٣/ ٣٣١) .

(٤) ذكره ابن الجوزي في « صفوة الصفوة » (١/ ٢٠٥)

(٥) ذكره العجلوني في « كشف الخفاء » (١/ ١٦) ، برقم (١٣)

(٦) أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، في أبواب الزهد ، باب ما جاء أن المرأ مع من أحب ، برقم (٢٣٨٥) وقال هذا حديث صحيح ، وابن حبان في الصحيح عن أبي موسى [الأشعري ـ رضي الله عنه ـ] (٢/ ٣١٦) برقم (٥٥٧)

(٧) أخرجه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه في كتاب الجنائز ، باب زيارة القبور ، برقم (١٢٨٣) وفي باب : الصبر عند الصدمة الأولى الحديث برقم (١٣٠٢) ، ومسلم في كتاب=

قطعةٌ رائعةٌ ومثالٌ بليغٌ للحكمة النبويّة ، والبلاغة العقلية :

(وأذكُرُ لكم نموذجاً رائعاً آخر ، يختلف كلَّ الاختلاف في الطبيعة والبيئة والدوافع التي دفعتْ إليه ، ولكنها قِطْعةٌ رائعةٌ ومثالٌ بليغٌ للحِكمة النبوية ، والبلاغة العقليَّة ـ ليست البيانية فحسب ـ والقيادة الحكيمة المُؤَثِّرة في أغوار النُّفوس وأعماقِ القلوب ، وهي جديرةٌ بأن تكون موضعَ دراسة مُؤرِّخي النُّبوَّات ، والقِيَادات الروحية ، وعُلَماءِ البلاغة وأساتذة علم النفس

إنَّ رسولَ الله ﷺ لما وَزَّع سبايَا ومغانم حُنَيْن في الجِعْرَانَة[1] على أشراف قُريش ، ـ كما تعرفون وقرأتُم في السِّيرة ـ أَعطى قريشاً فأَجزل لهم العطاءَ ، أَعطى أبا سُفيان وعِكْرِمَةَ بن أَبي جهل ، وفُلاناً وفلاناً ، كان نصيبُ الأنصار فيها قليلاً ، اعتماداً على إيمانهم وعلى حُبِّهم وصِلتهم الدقيقة العميقة الدائمة بالإسلام ونبيِّه ﷺ .

هُناك تَقاوَلَ بعضُ الشباب ، فقالوا : إنَّ رسول الله ﷺ خصَّ بَني قَبيلتِه بأكبرِ نصيبٍ من العَطاء والمَغانِم ، وبلغ هذا رسولَ الله ﷺ فحَسَبَ له حِساباً ، لأنَّه النَّبِيُّ المُربِّي وليس النَّبيّ فقط ، فأمر بجَمْع الأنصار في

= الجنائز . ، باب في الصبر على المصيبة . . . ، الحديث برقم (٢١٣٩) ، وأبو داود في كتاب الجنائز ، باب الصبر عند المصيبة ، برقم (٣١٢٤) ، والترمذي في كتاب الجنائز ، باب ماجاء أن الصبر في الصدمة الأولى ، برقم (٩٨٨) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، والنَّسائي في كتاب الجنائز ، باب الرخصة في البكاء على الميت ، برقم (١٨٧٠) ، وابن ماجه في أبواب ما جاء في الجنائز ، باب ماجاء في الصبر على المصيبة ، برقم (١٥٩٦)

(١) الجُعْرَانَة : موضع قريب من مكّة ، وهي في الحِلّ ، وميقات للإحْرام (النهاية الحديث : ١/ ٢٧٦)

حضيرة ، فاجتمعوا وقال « **لا يَدْخُلُ الْحَظِيْرَةَ إِلَّا الأَنْصَارُ** » ، ولمَّا اجتمعوا كلُّهم قال لهم :

« **مَا قَالَةٌ[١] بَلَغَتْنِيْ عَنْكُمْ ، وَجِدَةٌ[٢] وَجِدْتُمُوْهَا فِي أَنْفُسِكُمْ ؟** »

فَاسْتحيوا وقالوا لا شيءَ يا رسول الله ، إنما هُمْ بعض الشباب قد وَسْوَسَ لهم الشيطانُ ،

ثم قال : « **أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللهُ ، وعَالَةً[٣] فَأَغْنَاكُمُ اللهُ ؟، وأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللهُ بَيْنَ قُلُوْبِكُمْ ؟** »

قالوا : الله وَرسُوْلُهُ أَمَنُّ[٤] وأَفْضَلُ .

ولم يَبْتَدِرْ رسولُ الله ﷺ بالكلام ، بل أراد أن يتكلَّمَ بِلِسَانِهم فأثار فيهم الشعورَ الإنسانيَّ ، وأَلْهَمَهم المعانيَ ، فقال « **أَلا تُجِيْبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ ؟** »

قالوا : وبِمَاذَا نُجِيْبُكَ يَا رَسُوْلَ اللهِ ؟ للهِ وَلِرَسُوْلِهِ المَنُّ وَالْفَضْلُ ،

قَالَ « **وَاللهِ لو شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وصُدِّقْتُمْ ، أَتَيْتَنَا مُكَذَّباً فَصَدَّقْنَاكَ ، وَمَخْذُوْلًا[٥] فَنَصَرْنَاكَ ، وطَرِيْدَاً فَآوَيْنَاكَ . وعَائِلًا فَأَغْنَيْنَاكَ** »

أيُّ زَعيمٍ ، وأيُّ قائدٍ ، وأيُّ مُرَبٍّ ، وأيُّ صاحبِ فضل يستطيع أن يشهد على نفسه بهذا ، واللهِ لولا أنَّ هذه الكلمات قد وَرَدَتْ في السِّيرة

---

(١) القَالَةُ كثرة القول واللغط

(٢) وَجِدَة : غضب .

(٣) عالة : فقراء

(٤) المَنُّ : التفضُّل .

(٥) مَخْذُوْلًا : من الخذل ، هو : ترك الإغاثة والنصرة ، والمراد : مهزوماً

النبوية وفي حديثٍ صحيحٍ ـ أصلُه في « الجامع الصحيح » للبخاري[1] ، وقد ذكره الحافظُ ابن القيِّم في « زَاد المعاد »[2] بسياقٍ أوسعَ وأشملَ ـ ولولا أنَّها قد وردتْ في الصِّحاح وفي كُتب السيرة ، لما كان لأيّ مسلمٍ أن ينطق لسانه بهذه الكلمات : « أَما أَتَيْتَنا مكذَّباً فصدَّقناكَ ، ومخذولاً فنصرناكَ ، وطريداً فآويناكَ ! »

ثم قال بعدَ أنْ أَثار نُفوسَهم ، وأَجرى عُيونَهم ، وفَتح الأغلاقَ مِن قلوبهم : « **أَ وَجِدْتُمْ[3] فِي أَنْفُسِكُم يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْماً لِيُسْلِمُوْا ، وَوَكَلْتُكُمْ إِلىٰ إِسْلاَمِكُمْ** »

أُنظروا كيف أَوْجَدَ في نفوسهم الثِّقةَ التي كانت كفيلةً بحسم كلِّ ماساوَرَ نفوسَهم ـ إنْ كان هناك شيءٌ قد سَاوَرَ نفوسَهم ـ وقال : « أوَجِدتُم عليَّ في لُعاعة من الدنيا (واللُّعاعة خُضرة نَاْعمةٌ)[4] تألَّفتُ بها قوماً ليُسلِموا ووَكلتكم إلى إسلامكم » ؛

ثم قال الكلمةَ المُثيرةَ البليغةَ التي ما يُمكِن أن تُطلَق أو تَنطلِق من فَمٍ إلا وتُفجِّر الأنهارَ ، وتَشُقُّ الصُّخورَ ، وتأتي بالمُعجِزات

« **أَفَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ ، أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيْرِ ، وَتَرْجِعُوْنَ بِرَسُوْلِ اللهِ فِي رِحَالِكُمْ**[5] ؟

---

(١) أخرجه البخاري عن عبد الله بن زيد بن عاصم، في كتاب المغازي باب غزوة الطائف برقم (٤٣٣٠).

(٢) ٣/ ٤١٨

(٣) وَجِدْتُم ، أي : غضبتم

(٤) اللُّعَاعة تطلق في الأصل على نبات ناعم في أول ما ينبت : يقال : خرجنا نتلقّى أي نأخذ اللعاعة ومنه « ما بقي في الإناء إلا لعاعة » والمعنى بقية يسيرة (« النهاية ٤/ ٢٥٤)

(٥) الرِّحال : البيوتُ والمنازل .

فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرأً مِنَ الأَنْصَارِ ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْباً[١] ، وَسَلَكَتِ الأَنْصَارُ شِعْباً ؛ لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأَنْصَارِ ،

(الأَنْصَارُ شِعَارٌ ، وَالنَّاسُ دِثَارٌ)[٢] ، اللَّهُمَّ ارْحَمِ الأَنْصَارَ ، وأَبْنَاءَ الأَنْصَارِ وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الأَنْصَارِ »[٣]

ثمَّ ماذا كان ؟ كان الشيء المتوقَّع الطبعي ، هَمَلَتْ عيونُهم حتى اخضلَّتْ لِحاهم ، وقالوا : رَضينا برسول الله ﷺ قِسمةً وحظّاً

والله لو بَحثنا ـ ولِي مشاركةٌ في بعض اللُّغات غير العربية فضلاً عن اللغة الأردوية ـ في أدب الأُمم والدِّيانات ؛ ما وجدنا موعظةً أَبلغ من هذه الموعظة ؛ وعِلماً بالنفس الإنساني أكثر عُمْقاً وأكثر صِدْقاً من العِلْم النَّبوي[٤])[٥]

---

(١) الشِّعْبُ الطريق في الجبل

(٢) الجملة زيادة من الصحيحين

(٣) أخرجه البخاري ، في كتاب المغازي ، باب غزوة الطائف . . . ، برقم (٤٣٣٠) و(٤٣٣٣) و(٤٣٣٧) ومسلم في كتاب الزكاة ، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم برقم (٢٤٣٦) و(٢٤٤٠) و(٢٤٤١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، وأحمد في المسند (٣/ ٧٦) برقم (١١٧٤٨) من حديث زيد بن عاصم رضي الله عنه ، واللفظ المذكور للمسند (٢/ ٤١٩) وابن أبي شيبه في المصنَّف (٢/ ٤١٩) ، برقم (٣٦٩٩٧) ، وابن هشام في السيرة النبوية (٢/ ١٠٠٩) والطبري في تاريخه : (٢/ ١٧٧)

(٤) يقول فضيلة أستاذنا العلاَّمة المحدِّث الشيخ نور الدين عِتر ـ حفظه الله وأمتع به ـ « وفي الحقِّ أنَّ هذه الخُطبة فريدة في لُغات العالم ، وإنها كما قال مولانا الداعية المجدِّد أبو الحسن علي الحسني الندوي ـ في لقاء مع فضيلته في الجزائر في « ملتقى الفكر الإسلامي في الجزائر » اطَّلع على شرحي لهذه الخُطبة فقال : ـ « إنِّي أُحسن ستَّ لغاتٍ عالمية ، لا أعرف فيها مثل هذه الخطبة ، وإنَّها لمن دلائل نبوّته ﷺ » انظر كتاب : « في ظلال الحديث النبوي دراسة فكرية اجتماعية وأدبية جمالية معاصرة » : ص : (٣٣٦) .

(٥) انظر : « محاضرات إسلامية في الفكرة والدعوة » للعلاَّمة الندوي : (١/ ٤٨٦ ـ ٤٨٨) .

[وصفٌ بليغٌ لكلام النبي ﷺ] :

هل تَرَى الجاحِظَ يعني غيرَ كلام النَّبِيِّ ﷺ ؟ ، حَاشَ للهِ ، أيُّ كَلام أحقُّ بأن يلبسه الله مِن الجلالة ، يغَشّيه من نُور الحكمة على حسب نيَّة صاحبه وتقوى قائله ، ويُصحِبه من التوفيق ، ويمنحه من التأييد ما لا يمتنع من تعظيمه به صدورَ الجبابرة من كلام نبيِّه ﷺ

وهو مع إعجازِه إذا سَمِعَه الجاهلُ ربَّما ظنَّ أنه يُحسِن مثله ، وهذا هو الكلام البليغ ـ كما قال ابن المُقَفَّع[1] ـ والسَّهل الممتنع ، ثم أنشأ الجَاحِظُ يَصِفُ كلامَ النَّبيِّ ﷺ ، وحَسْبُكَ به وَصَّافاً ، ونَاعِتاً ، ونَكتفي به « هو الكلامُ الذي قلَّ عددُ حروفِه ، وكَثُرَ عددُ معانِيه ، وجلَّ عن الصنعةِ ، ونُزِّه عن التكلُّف ، اسْتُعْمِلَ المبسوطُ في موضع البسط ، والمقصور في موضع القصر ، وهُجِر الغريب الوحشيِّ ، ورُغِبَ عن الهَجِين السُّوقيِّ ، فلم ينطق إلَّا عن ميراث حكمةٍ ، ولم يتكلَّم إلا بكلام قد حفَّ بالعَصْمة ، وشدَّ بالتأييد ، ويُسِّرَ بالتوفيق ، وهذا الكلامُ الذي ألقى اللهُ المحبَّةَ عليه ، وغشَّاهُ بالقبول ، وجَمَعَ له بين المَهابةِ والحَلاوةِ ،

---

(١) هو عبد الله بن المقفَّع ، كاتب فارسي الأصل ، عربي النشأة ، نشأ بالبصرة على ما ينشأ عليه أبناء اليسار ، وكان والده داذويه المجوسي يتولَّى خراج فارس للحجَّاج بن يوسف ، فاحتجن من مال السلطان شيئاً ، فضربه الحجاج حتى تقفعت يده فلقب بالمقفع رُبِّي عبد الله منذ طفولته على النمط الإسلامي ، وأُولِع بالعلم ، فنبغ وهو يافع في الكتابة باللغتين الفارسية والعربية ، فاستكتبه في عهد بني أمية داود بن هُبير ، وفي عهد بني العباس عيسى بن علي عمُّ المنصور ، وعلى يديه أسلم ، قتل عام ١٤٢هـ . كان ذكيَّ القلب ، فصيح المنطق ضليعاً في أدب العرب والفُرس ، مقدَّماً في بلاغة اللسان والقلم والترجمة واختراع المعاني وابتداع السِّيَر ، وكان يتعاطى الكلام ولا يحسن منه لا قليلاً ولا كثيراً (تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات ، ص : ١٦٣ ـ ١٦٤) .

وبين حُسْنِ الإفهام وقِلَّةِ عددِ الكلام ، وهو مع استغنائه عن إعادته ، وقِلَّة حاجة السامع إلى معاودتِه ، لم تسقط له كلمةٌ ، ولا زَلَّتْ له قَدَمٌ ، ولا بَارَتْ له حُجَّةٌ ، ولم يَقُمْ له خَصْمٌ ، ولا أَفحمه خطيبٌ ، بل يَبُذُّ الخطب الطِّوال بالكلام القصير ، ولا يلتمس إسكات الخَصْم إلا بما يعرفه الخصم ، ولا يحتجُّ إلا بالصِّدق ، ولا يطلب الفُلْجَ[1] إلا بالحقِّ ، ويستعين بالخلابة ، ولا يستعمل المواربة ، ولا يَهمِز[2] ، ولا يَلمِز[3] ، ولا يُبطيء ، ولا يُعَجِّل ، ولا يُسْهِب ، ولا يَحصِر . ثم لم يسمع الناسُ بكلام قطُّ أعمَّ نفعاً ، ولا أَصدق لفظاً ، ولا أَعدل وزناً ، ولا أَجمل مذهباً ، ولا أكرم مطلباً ، ولا أَحسن موقعاً ، ولا أسهل مَخرجاً ، ولا أَفصح عن معناه ، ولا أَبين في فَحْوَاهِ من كلام النَّبيِّ ﷺ ، كثيراً »[4]

وأصحابُه ﷺ ـ رضي الله عنهم ـ اقتبسوا من هذا النُّورِ ، ومعشر الأنبياء قومٌ لا يشقى بهم جليسُهم ، وهُم حَمَلة هذا العِلم ، وأحقُّ عباد الله بالانتفاع به ، وأَولى به من غيرهم ـ واللهُ أَعلم حيث يجعل الفضل ، فإنْ كان غنياً ـ ولا جَرَم ـ فقد وجد تُرْبةً كريمةً وأصاب أرضاً نقيَّةً ، كما قال عليه الصَّلاة والسَّلام « قَبِلَتِ الْمَاءَ ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ ، وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ »[5] .

وما هو إلَّا أنَّهم جلسوا إليه ، وغشوه ، وخالطوه ، وعاشروه ، وصَحِبوه ، وأحبُّوه ، وتضلَّعوا من كلامِه ، وحفظوا أحكام مَنْطِقِه ، واقتفوا آثارَه في كلِّ شيءٍ .

---

(١) الفُلْج : الظفر والفوز .
(٢) الهمز : العيب في الغيبه .
(٣) اللمز : العيب في الحضور .
(٤) البيان والتبيين : صفة بلاغة رسول الله ﷺ ، (٢/ ٤٤٤ ـ ٤٤٥) .
(٥) قد سبق تخريخ هذا الحديث في صفحة (٣٠) .

وهل نشأَ أميرُ المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب ، وأمُّ المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنهما ـ إلَّا في حجره ﷺ ، وكنَّا نرجوا أن نأتيَ بأمثلةٍ من كلامهم ، فيتبيَّنُ الصبحُ لذي عَيْنَين ، ولكن قد طالَ بنا الكلامُ ، ومَن شاءَ فليُراجِع حديثَ أبي هريرة قال « كُنَّا قُعوداً حولَ رسول الله ﷺ معنا أبو بَكْر ، وعُمَرُ في نفرٍ فقام رسولُ الله ﷺ من بين أَظْهُرِنا ، فأَبْطَأَ علينا ، وخَشِينَا أن يُقْتَطَعَ دُوننا ، وفَزِعْنَا وقُمْنَا ، فكنتُ أوَّلَ مَن فَزِعَ »[1] الحديث . . . إلخ ، أخرجه مسلم

وحديثُ الاستسقاء في الخُطبة يوم الجمعة رواه البخاريُّ وغيره عن أنس ، وابن مسعود ، وأبي سعيدٍ ، وحديث أبي قَتادة قال : خَاطَبَنا رسولُ الله ـ ﷺ ـ فقال : « **إنَّكُمْ تَسِيْرُوْنَ عَشِيَّكُمْ وَلَيْلَتَكُمْ ، وَتَأْتُوْنَ الْمَاءَ ، وإنْ شَاءَ الله** »[2]

وحديثُ الإفْك ، وحديث كَعْبِ بن مَالِكٍ في قصة تَبُوْك .

واللهِ لكلامهم أحرى وأحقُّ بأن يدرَّس ، ويُحفَظ ، ويُذاكَر ، ويُحتجَّ به من غيره ، ولكن أقواماً أخطأَهم كتاب الله ، وكلام نبيِّه ، وأصحابه أن يتعلَّموا منه كلام العرب ، وسُنَنهم فيه ، ومذاهبهم ، واشتغلوا بما ربما لا يكون في شيء من كلام العرب ، ولا نرى عليه آثاره من أدبٍ ، وكانوا ظالمين ، وهل الظلم إلا انتقاص الحقِّ ، ووضع الشيء في غير موضعه ، والناس أعداءُ ما جهلوا

---

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد ، برقم (٣١)

(٢) أخرجه مسلم عن أبي قتادة رضي الله عنه ، في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب قضاء الصلاة الفائتة . . . برقم (١٥٦٢) .

[قِطَعٌ أدبيةٌ ساحرةٌ في كُتب الحديث والسِّيرة] :

(إنَّ كُتبَ الحديث والسِّيرة اشتملَتْ على مُعْجزاتٍ بيانيَّةٍ وقِطَعٍ أدبيةٍ ساحرةٍ ، تخلو منها مكتبةُ الأدب العربي ـ على سَعَتها وغِنَاها ـ وهو دليلٌ على صِحَّة هذه اللغة وَمُرُونَتها ، واقتدارها على التعبير الدقيق عن خواطر ومشاعر ، ووِجْدَانات وكيفيَّات نفسية عميقة دقيقة ، ووصفٌ بليغٌ مصوِّر للحوادث الصغيرة ، وهي الكُتب التي حفظتْ لنا مناهجَ كلام العرب الأوَّلِين وأساليب بيانهم ، ولئنْ صحَّ ما قاله الرَّقَاشِي[1] « **إنَّ ما تكلَّمتْ به العربُ من جَيِّد المنثور ، أكثر ممَّا تكلَّمتْ به من جَيِّد المنظوم ، فلم يُحفظ من المنثور عُشْرُه ، ولا ضاع من الموزون عشره** »[2] فكُتب الحديث النبوي تَسُدُّ هذا الفراغَ الواقع في تاريخ الأدب العربي تنقُلُ إلينا هذا الذُّخْرَ الأدبي الذي أعتقِدُ أنه قد ضاعَ ، وتمتاز أنها قد اتَّصل سندُها وصَحَّتْ رِوايتُها فهي أوثقُ مصدرٍ للغة العربية البليغة التي كانت سائدةً في عهدها الذهبي الأول وللأدب العربي الذي كان منتشراً في جزيرة العرب

إنَّ هذه الكُتبَ تشتمل على رِوايات قصيرة وطويلة ، وكلُّها أمثلةٌ جميلةٌ للغة العَرَبِ العَرْبَاء[3] التي كان يتكلَّمون بها ويعبِّرون بها عمَّا فيضمائرهم وخواطرهم ، ويَجِدُ دَارِسُ الأدب العربي فيها من البلاغة

---

(١) هو الفضل بن عبد الصَّمد بن الفضل الرَّقَاشِي البصري ، شاعر مجيد ، من أهل البصرة ، فارسيّ الأصل ، انتقل إلى بغداد ، ومدح الخلفاءَ وكانت بينه وبين أبي نُواس مهاجات ومباسطة وانقطع إلى البرامكة ، ورثاهم بعد نكبتهم ، وكان متهتكاً خليعاً ، قال المبرّد : « كان الفضل يظهر الغنى وهو فقير ، ويظهر العِزَّ وهو ذليل ، ويتكثَّر وهو قليل ، فكانت الشعراء تهجوه » مات نحو عام ٢٠٠هـ . (الأعلام : للزركلي : ٥/ ١٥٠)

(٢) « البيان والتبيين باب آخر من الأسجاع في الكلام ، (١/ ١٧٥)

(٣) العَرَبُ العَرْباءُ : الصُرَحَاءُ الخُلَّصُ .

العربية ، والقُدرة البيانية ، والوصف الدقيق ، والتعبير الرقيق ، وعدم التكلُّف والصِّناعة ما يَقِفُ أمامه خاشعاً معترِفاً للرُّوَاة بالبلاغة والتحرِّي في صحة النقل والرواية ، وللغة العربية بالسَّعة والجمال

أمَّا الرِّواياتُ الطويلةُ فهي ثروةٌ أدبيةٌ ذات قيمة فنِّية عظيمة ، وهي التي تجلَّت فيها بلاغةُ الرَّواي العربي ، واقتداره على الوصف والتعبير والتصوير ، وهي التي يطولُ فيها نفسه فيحكي حكايةً يعبِّر فيها عن معانٍ كثيرة ، وأَحاسِيس دقيقة ، ومناظر متنوِّعة ، فلا يخذله اللِّسانُ ولا يخونه البيانُ ولا يتخلَّف عنه مددُ اللغة ، وكأنَّها لوحةٌ فنِّيةٌ منسجمة متناسقة قد أبدع فيها الفنَّانُ ، أو صورةٌ متناسبةٌ قد أحسن فيها المصوِّرُ كلَّ الإحسان

اقرأْ معي حديثَ كَعْبِ بن مَالِك[1] عن تَخَلُّفِه عن غَزْوَة تَبُوْك ، وهو موضوعٌ دقيقٌ مُحرجٌ ، يطلب منه الصَّراحةَ والاعترافَ بالتقصير ، والشهادةَ على النفس ، ويطلب منه تصويرَ ذلك الجَوِّ القَاتِم العَابِس الذي عاش فيه خمسين ليلة ، ويطلب منه تصويرَ الخواطر التي كانت تجيش في صدره وتُسَاوِرُ نفسَه وهو يعيش في جَفَاءٍ وعِتابٍ ممَّن يُحِبُّهم وتربطه بهم العقيدةُ والعاطفةُ ، لا يجد لذَّةً في فِراقهم ولا يرى في الدنيا عِوَضاً عنهم ، وتصويرَ تلك الصِّلة الرُّوحية والحُبَّ العميق الذي يربطه بالنَّبي ﷺ ربطاً وثيقاً مُحْكَماً ولا يحلُّه العِتابُ والعِقاب ، ولا يضعِّفه إقبال الملوك

---

(١) هو كعب بن مالك بن عمرو بن القين ، الأنصاري السَّلَمِي الخزرجي ، صحابي كبير ، من أكابر الشعراء في الجاهلية ، وكان في الإسلام مِن شعراء النَّبي ﷺ ، وشهد أكثر الوقائع ، ثم كان من أصحاب عثمان رضي الله عنه ، وأنجده يومَ الثورة ، وحرَّض الأنصارَ على نصرته ، ولما قُتل عثمان ـ رضي الله عنه ـ قعد عن نصره عليّ ـ رضي الله عنه ـ فلم يشهد حروبَه . عَمِيَ في آخر عمره وعاش سبع وسبعين سنة ، توفي عام ٥٠هـ ، وعنه نحو (٨٠) حديثاً مروياً

عليه ، وتوذُّدِهم إليه ، وتصويرَ ذلك السُّرور الذي غَمَرَه على إثر قَبول توبته

ما أَصْعَبَ هذا الموضوع ، وما أَكثره ، تَعَقُّداً ودِقَّةً ، ولكنَّه ببلاغته العربية يتغلَّبُ على هذه المشاكل النفسية والأدبية ، ويترك لنا ثروةً نعتَزُّ بها

اقرأْ معي هذه القِطعةَ الصغيرةَ التي أَقْتَبِسُها من حديثه الطويل ، وهو يحكي ما أَحاط بهذه الغزوةِ العظيمة من ظُروف وأَجْواء ، ويصوِّر تلك الحالةَ النفسيةَ التي تخلَّف فيها عن هذه الغزوة وما انْتَابَه من التَّرَدُّدِ ، ولم يكن التخلف عن الغزوات من سِيرته وعادته ، وتَمَتَّعْ بما احتوتْ عليه هذه القطعةُ من القُوَّة والجمال ، وصِدق التصوير وبراعة التعبير

« وغَزَا رسولُ الله ﷺ تلك الغَزْوَةَ حين طابتِ الثمارُ والظِّلالُ ، وتجهَّز رسولُ الله ﷺ والمسلمون معه ، فطَفِقْتُ أَغْدُو لِكي أتجهَّز معهم فأرجعُ ولم أَقْضِ شيئاً ، فأقول في نفسي أنا قادرٌ عليه ، فلم يزل يَتمادَى بِي حتى اشْتَدَّ الجِدُّ . فأصبح رسولُ الله ﷺ والمسلمون معه ولم أقضِ من جَهازي شيئاً فقلت أتجهَّز بعده بيومٍ أو يومين ثم أَلحقهم ، فغدوتُ بعد أن فصلوا لأتجهَّز فرجعت ولم أقض شيئاً ، ثم غدوتُ فرجعتُ ولم أقض شيئاً ، فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفارطَ الغَزْوُ ، وهَمَمْتُ أن أرتحلَ فأُدرِكهم ، وليتني فعلتُ ! فلم يُقَدَّرْ لي ذلك فكنتُ إذا خرجتُ في الناس بعد خُروجِ رسول الله ﷺ فَطُفْتُ فيهم أَحزنني أني لا أرى إلَّا رَجُلاً مغموصاً عليه النِّفاق ، أو رجلاً ممَّن عذره اللهُ من الضُّعفاء »

ثم انظرْ كيف يصوِّر حالتَه وقد هجره المسلمون ونُهُوْا عن كلامه ، وكيف يعبِّر عن حالة المُحِبِّ الذي هجره الحبيبُ ـ عقوبة وتأديباً ـ وهو

يطمع في وُدِّه ويتسلَّى بنظراته والذي لم يزده هذا العِتاب إلَّا رُسوخاً في المحبة ولَوْعَة وجوى[1] ، دَعْهُ يقصُّ قصتَه بلسانه البليغ

« ونَهى رسولُ الله ﷺ المسلمين عن كَلاَمِنا أَيُّها الثلاثةُ مِن بين مَن تخلَّف عنه ، فَاجْتَنَبَنا الناسُ وتغيَّروا لنا حتَّى تنكَّرتْ في نفسي الأرضُ فما هي التي أَعرفُ ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلةً ، فأمَّا صَاحِبايَ فاستَكانا وقَعَدَا في بيُوتهما يَبْكيان وأمَّا أنا فكنتُ أَشَبَّ القومِ وأَجْلَدَهُم[2] فكنتُ أخرج وأشهد الصلاةَ مع المسلمين وأطُوف في الأسواق ، ولا يكلِّمني أحدٌ ، وآتِي رسولَ الله ﷺ فأُسلِّم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي هل حرَّكَ شفتيه بردِّ السلام أمْ لا ؟ ثم أصلِّي قريباً منه فأُسارِقه النظرَ فإذا أقبلتُ على صلاتي أقبلَ إليَّ ، وإذا التفتُّ نحوَه أعرضَ عنِّي ، حتى إذا طال عليَّ ذلك مِن جَفْوة الناس مشيتُ حتى تَسَوَّرْتُ جدارَ حائط أبي قَتَادة وهو ابن عمِّي وأحبُّ الناس إليَّ ، فسلَّمتُ عليه فوالله ما ردَّ السلامَ ، فقلتُ : يا أبا قتادة ! أَنْشُدُكَ الله ! هل تَعْلَمُنِي أُحِبُّ اللهَ ورسولَهُ ؟ فسكتَ ، فعدتُ له فنشدتُه فسكتَ ، فعُدْتُ له فنشدتُه فقالَ اللهُ ورسولُهُ أَعْلَمُ ، ففاضتْ عَيْنَايَ ، وتَوَلَّيْتُ حتى تسوَّرتُ الجدارَ »[3]

واقرأْ معي كذلك حديثَ الإفْكِ الذي ظَهَرَتْ فيه براعةُ السيِّدة عائشة أمِّ المؤمنين رضي الله عنها الأدبيَّةُ وقوَّتها البيانية ، وحُسن تصويرها ، ووصفِها للعواطف والمشاعر النِّسَوِيَّة اللطيفة الدقيقة ، وقد تجلَّت في هذه

---

(١) الجَوَى : اشتداد الوَجْد من العِشق أو الحُزن .

(٢) أَجْلَدَهُم : أقواهم أشجعهم .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب حديث كعب بن مالك ، برقم (٤٤١٨) ، ومسلم في كتاب التوبة ، باب حديث توبة كعب بن مالك ، برقم (٢٧٦٩) ، وأحمد في المسند (٣/٤٥٨) برقم (١٥٨٢٧) من حديث عبد الله بن كعب بن مالك رضي الله عنهما

القطعة رِقَّةُ عاطفة المرأة المُحِبَّة لزوجها مع إباء الحرَّة الواثقة بعَفافها وطهارتها ، المؤمنة بربِّها وقد أَضفى هذا المزيج الغريب من الرِّقَّة والشدة ، والعاطفة والعقل . زِدْ إلى ذلك بيان عائشة التي تقلَّبتْ في أعطاف البلاغة العربية وانتقلتْ فيها من بيتٍ إلى بيتٍ ، قد أَضفى كلُّ ذلك على هذه الرواية من الجمال الفَنِّي مايجعلها من القِطَع الأدبية الخالدة في الأدب

انظرْ كيف تَصِفُ ماتقوَّله الناسُ وتحدَّثوا به وما شعرتْ به من تغيُّرٍ في وَجْهِ الرَّسول ﷺ ، تَذْكُرُ كلَّ ذلك في حياء المرأة وأدبها من غير إبهامٍ أو عَيٍّ :

قَالتْ عائشةُ « فقَدِمْنا المدينةَ فاشتكيتُ حِيْنَ قدمتُ شهراً والناس يُفِيضُون[1] في أصحاب الإِفْكِ[2] ، لا أشعرُ بشيءٍ من ذلك ، وهو يَرِيْبُني في وَجَعِي أنِّي لا أعرفُ من رسول الله ﷺ اللُّطفَ الذي كنتُ أَرى منه حين أَشْتكِي . إنما يدخلُ عليَّ رسولُ الله ﷺ فيُسَلِّم ثم يقول كيف تِيْكُمْ[3] ؟ ثم ينصرفُ فذلك يَرِيْبُنِي ، ولا أشعر بالشَّرِّ »

وتذكُرُ تَوَجُّعَها من الخبر المُشَاعِ فتقول فبكيتُ يَوْمي ذلكَ كلَّه ، لَا يرْقَأُ[4] لي دمعٌ ولا أَكْتَحِلُ[5] بنومٍ ، قَالتْ « وأَصْبَحَ أبوايَ عِندي ، وقد بكيتُ ليلتين ويوماً ، لا أَكتحِلُ بنوم ولا يرقأُ لي دمعٌ حتى إِنِّي لأظنُّ

---

(١) يُفيضون : يتحدَّثون ويخوضون .
(٢) الإفْك : أَقبح الكذب وأفحشه .
(٣) تِيْكم يُشيرُ ﷺ إلى عائشة رضي الله عنها . وهي اسم إشارة إلى المؤنَّث ، بمنزلة « ذا » للمذكَّر
(٤) لا يَرْقأُ : لا ينقطع
(٥) أكتحِل : أهنأُ وأسعدُ .

أنَّ البكاءَ فَالِقٌ كَبِدِيْ »[1]

وتتقدَّمُ في الحِكاية وتذكر كيف يسألها رسولُ الله ﷺ عمَّا قِيل عنها ويعزم عليها الصِّدق ، فلا تلبث أن تَعْتَرِيْها حميَّةُ المرأة العفيفة الفاضلة ، ويقلص دمعها حتى لا تحسُّ منها بقطرة ، وترجو أباها وأمَّها أن يُجِيبا عنها رسولَ الله ﷺ فيمتنعان ويفضِّلان السكوتَ حياءً من رسول الله ﷺ واستحياءً من الدفاع عن قضية بنتهما وهو الدفاع عن النفس ، فتنبري للكلام القوي الصريح المبين ـ وهي البليغة الأديبة ـ وتتمثَّل بقول سيِّدنا يعقوب وتفوِّض أمرَها إلى الله ، وتنزل براءتُها من السماء فتطلب منها أمُّها أن تشكر رسولَ الله ﷺ وتقوم إليه فتأبىٰ ـ في دَلال العفائف وأنفة المؤمن ـ أن تحمد إلَّا الله الذي أنزل براءتَها من فوق سبع سماوات ، وخلَّد طهارتَها إلى آخر يوم يُقْرَأُ فيه القرآنُ ويُؤْمَنُ به

واقرأْ كذلك حِكايتها للهجرة النبوية وذِكرها لتفاصيلها وما وقع لرسول الله ﷺ وصاحبه[2] رضي الله عنه في الطريق ، ووُصولهما إلى المدينة ، وكيف تلقَّاهما الأنصارُ ، وفرحوا بقُدوم رسول الله ﷺ ، وكلُّ ذلك مثالٌ رائعٌ للوصف الدقيق البليغ ، والبيان القادر الوصَّاف

(١) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات ، باب تعديل النِّساء بعضهنَّ بعضاً ، برقم (٢٦٦١) ، وفي كتاب المغازي ، باب حديث الإفك ، برقم (٤١٤١) ، وفي كتاب التفسير ، باب ﴿ لولا إذا سمعتموه ظنَّ المؤمنين ﴾ برقم (٤٧٥٠) ، ومسلم في كتاب التوبة ، باب في حديث الإفك ، برقم (٢٧٧٠) والترمذي في أبواب التفسير ، تفسير سورة النور ، برقم (٣١٨٠) ، وأحمد في المسند (٦/٥٩) ، برقم (٢٥٦٦٤) ، وعبد الرزاق في المصنف ، (٥/٤١١) برقم (٩٧٤٦) عن عروة بن الزُّبير ، وسعيد بن المسيِّب ، وعلقمة بن وقَّاص الليثي ، وغيرهم .

(٢) هو أمير المؤمنين سيدنا أبو بكر الصِّديق رضي الله عنه

وهُنالك رِواياتٌ أخرى طويلةُ النفس ، ضافيةُ البيان ، تشتمل على غُرَرِ الكلام وبدائعه الحسان ومناهج العرب الأوَّلين في كلامهم ، كحديث صُلح الحُدَيْبِيَةِ[1] ، وحديث الإِيلَاء[2] ، وغير ذلك ، كانت تستحِقُّ أن تكون في المكانة الأولى في دِراستنا الأدبية ، ولكنَّها أَفْلَتَتْ مِن نظر المؤلِّفين والنَّاقدين ، لأنَّها لم تدخل في دَوَاوِين الأدب ، ولأنَّ تصوُّرَهم للأدب كان تصوُّراً محدوداً جامداً لَا يَعْدُوا الصِّناعةَ)[3]

وحمَّالُ هذا العِلْمِ من بعدهم ، منهم من قعَدَ به الفقهُ ، وأمرُ الفتوى ، وعلمُ الرِّجال وغلبه ، كـ : إمام أهلِ السنَّة أحمد بن حَنْبل[4] ، والإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البُخَارِي[5] ، وصاحبُه الإمام مسلم بن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الشروط ، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب . . ، برقم (٢٧٣١) و(٢٧٣٢) بلفظ أطول من لفظه في المغازي ، وأحمد في المسند (٤/ ٣٢٨ ـ ٣٣١) برقم (١٨٩٤٤) .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الطلاق ، باب في الإيلاء . . . برقم (١٤٧٩) ، وابن حبان في الصحيح (٩/ ٤٩٦) برقم (٤١٨٨) ، وأبو يعلى في المسند (١/ ١٥٠) برقم (١٩٥) وغيرهم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٣) النص الوارد بين القوسين مأخوذ من مقدمة العلامة الندوي لكتابه « مختارات من أدب العرب » (١/ ١٢) .

(٤) هو أحمد بن محمّد بن حنبل بن هلال ، أبو عبد الله الشيباني الذهلي ، إمام المسلمين ، ومن حبّه والدفاع عنه شعار أهل الدين ، وُلِدَ في بغداد سنة ١٦٤هـ ، ونشأ على الصبر والقناعة ، وحفظ القرآن في صباه ، واتَّجه إلى الحديث اتجاهاً كلياً ، ورحل إلى بلاد كثيرة ، علا شأنُه في الحديث وعِلم الرواية ، حتى بلغ مبلغ الإمامة ، ورتبة الاجتهاد ، فكان يحفظ ألف ألف حديث ، تخرَّج عليه كبار الأئمَّة مثل الإمام البخاري ، ومسلم ، والترمذي ، وأبي داود امتُحِن في الله ، وفي الدفاع عن السنة والعقيدة الصحيحة في فتنة الاعتزال أيامَ المعتصم ، وعذِّب ما لم يعذَّب إلا أفراد قلائل ، فصبر صبر الأبطال ، وانتصر للسنة ، وزاد عن الإسلام ، حتى قال الإمام علي بن المَديني : « إنَّ الله أَعزَّ هذا الدينَ بأبي بكر الصديق يوم الرِّدَّة ، وبأحمد بن حنبل يوم المحنة » . توفي سنة ٢٤١هـ ، ومن مؤلَّفاته الشهيرة مسنده .

(٥) هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بالبخاري ، شيخ الحفَّاظ وإمام=

حجّاج القُشَيْرِيُّ[1] ، إلا أنَّ في الجامع الصحيح للبخاري مِن أدبٍ ولطفِ كلامٍ ما قد يستوقف نظرَ الناظر[2]

وفي المحدِّثين أدباءٌ، كـ : علاَّمة التابعين الإمام الشَّعْبِي[3] ، والإمام اللَّيْث بن سَعْد[4] ، والشيخ الإمام أبي عبد الرَّحمن عبد الله بن مُبَارَك

= المحدِّثين في أهل زمانه ، والفائق على سائر أقرانه ، ألهمه الله حفظ الحديث وهو في الكُتَّاب ، ارتحل وتجوَّل في البلاد لطلب الحديث حتى حُظي بالقسط الوافر منه ، وكان لا يُحازى في حفظ الحديث سنداً ومتناً ، مع تمييز الصحيح من السقيم ، والأصل من الموضوع . وجامعُه الصحيح أصحُّ كتابٍ بعد كتاب الله عزَّ وجلَّ ، توفي سنة ٢٥٦هـ ، ومن مؤلفاته : « التاريخ الكبير » و« الأوسط » و« الصغير » و« الأدب الفرد » و« كتاب الضعفاء » و« كتاب العلل » و« كتاب الكُنى » .

(١) هو الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجّاج القُشيري النيسابوري ، طلب الحديثَ صغيراً ، ورحل إلى العراق والحجاز والشام ومصر ، وتلقى العلمَ من مشايخ الإمام البخاري وغيرهم ، ولمَّا ورد الإمامُ البخاري نيسابور في آخر عمره ، لازمه مسلمٌ واستفاد منه ، وحذا حذوَه ، كتابه الصحيح يقع في الدرجة الثانية بعد صحيح البخاري ، وهو مرتَّب على أبواب الفقه ، غير أنه لم يذكر تراجم الأبواب مخافةَ ازدياد حجم الكتاب ، لكن تولَّى شارح صحيحه الإمامُ النووي الترجمة عنه بعبارات تليق بها فأجاد كثيراً توفي الإمام مسلم سنة ٢٦١هـ . ومن مؤلفاته « الكبير على أسماء الرجال » و« الجامع الكبير على الأبواب » و« العلل » و« التمييز » .

(٢) إقرأْ في ذلك ماكتبه العلاَّمة الندوي بعنوان « نظرات في الجامع الصحيح للإمام البخاري » و« الأبواب والتراجم للبخاري ميزاتها وخصائصها » في كتابه « نظرات في الحديث وفي الصحاح الستة ، ونبذة من تاريخ تدوين الحديث » طبع بعناية فضيلة أستاذنا الشيخ بلال عبد الحي الحسني الندوي في دار ابن كثير بدمشق عام ١٤٢٠هـ .

(٣) هو عامر بن شُراحيل بن عبد ذي كبار ، الشَّعْبِي الحميري ، أبو عمر : راويةٌ ، من التابعين ، يُضرب المثل بحفظه ، وُلد ونشأ ومات فجأةً بالكوفة عام ١٠٣هـ . سئل عمَّا بلغ إليه حفظُه ، فقال : ما كتبتُ سوداء في بيضاء ، ولا حدَّثني رجل بحديث إلا حفظتُه ، وهو من رجال الحديث الثقات . وقال ابنُ مَعِين : « إذا حدَّث عن رجلٍ فسمَّاه فهو ثقة يُحتج بحديث » وقال ابنُ عُيينة وأبو زُرعة ، وغير واحد : « الشَّعْبِيُّ ثِقة » (« تهذيب التهذيب » لابن حجر : (٢/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥)

(٤) هو اللَّيث بن سَعْد بن عبد الرحمن الفهمي ، إمام أهل مصر في عصره ، حديثاً وفقهاً . قال=

الحَنْظَلِيّ[1] ، والإمام عثمان بن سعيد الدَّارِمِيّ[2] ، والإمام المتبوع والشاعر المطبوع محمد بن إدريس الشَّافِعِي[3] رحمه الله ، وغيرهم ـ

= ابن تغري بردي : « كان كبير الديار المصرية ، ورئيسَها وأمير مَن بها في عصره ، بحيث أن القاضي والنائب من تحت أمره ومشورته » . كان أصله من خُراسان ، ومولده في قلقشنده عام ٩٤هـ ، ووفاته في القاهرة عام ١٧٥هـ . وكان من الكرماء الأجواد وقال الإمام الشافعي « الليث أفقه مِن مالك ، إلَّا أن أصحابه لم يقوموا به » وقال ابن سعد « كان قد استقلَّ بالفتوى في زَمانه ، وكان ثقةً ، كثير الحديث صحيحه ، وكان سَرِياً من الرجال نبيلاً سخياً » (انظر : « الأعلام » للزركلي ، (٥/ ٢٤٨) ، و« تهذيب التهذيب » (٣/ ٤٨١ ـ ٤٨٣) .

(١) هو عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي أحد الأئمة ، الحافظ ، شيخ الإسلام ، المجاهد التاجر ، صاحب التصانيف والرحلات أفنى عمره في الأسفار حاجّاً ومجاهداً وتاجراً . وجمع الحديثَ والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء كان من سكَّان خراسان وتوفي بـ« هيت » . (على الفُرات) عام ١٨١هـ منصرفاً من غزو الروم . له كتاب في « الجهاد » وهو أوَّل من صنَّف فيه ، و« الرقائق » في مجلَّد . وقال أحمد : « لم يكن في زمانه أطْلَبُ للعِلم منه ، جمع أمراً عظيماً ، ما كان أحد أقلَّ سِقْطاً منه ، كان رجُلاً صاحبَ حديث حافظ وكان يحدِّث من كتاب » وقال شُعبة : « ماقدِم علينا مِثله » (انظر « الأعلام » للزركلي ٤/ ١١٥ ، و« تهذيب التهذيب » ٢/ ٤١٥ ـ ٤١٧)

(٢) هو عثمان بن سعيد بن خال الدَّارمي السَّجتاني ، محدِّث هراة ، له تصانيف في الردِّ على الجهيمة ، وله مسندٌ أيضاً ، توفي في هراة عام ٢٨٠هـ .

(٣) هو أبو بكر عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن شافع الهاشمي ، ينتهي نسبه إلى قُصي ويلتقي نسبُه مع النبي ﷺ في عبد مناف ، ولد بغزة من أعمال الشام سنة ١٥٠هـ ، وحملته أمُّه إلى مكة وهو ابن سنتين وبها نشأ وقرأ القرآن الكريم ، وأقام في هُذيل نحواً من عشر سنين ، تعلَّم منهم اللغةَ والشعر حتى كان من أَوثق الناس بأشعر الهذليين ، تتلمذ على الإمام مالك فقرأ عليه الموطأ كله ، اتصل بالإمام محمَّد بن الحسن الشيباني في بغداد ، أقام في آخر عُمره بمصر ، وبها دوَّن مذهبَه الجديد إلى أن توفِّي عام ٢٠٤هـ . كان يتمتع ـ رحمه الله ـ بعِلْم غزير ومنطق فحل ، وذكاء عجيب ، وذهن نافذ إلى لب الحقائق ، وإحاطة واسعة بكتاب الله وسنة رسوله ، وعلوم اللغة وآدابها . وللإمام الشافعي ـ عدا مكانته الفقهية ـ مكانة ممتازة عند أهل الحديث ، فهو الذي وضع قواعد الرواية ، ودافع عن السنة دفاعاً مجيداً ومن أشهر كُتبه : « الأُم » في الفقه » ، و« الرسالة » في أصول الفقه ، و« اختلاف الحديث » (انظر « الأعلام » للزركلي ٦/ ٢٦ ، و« السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي » للدكتور مصطفى السباعي ، ص : ٤٧٨ ـ ٤٧٩) .

ثم جاءَ بعدَهم أقوامٌ دَرَسُوا الحديثَ ودَرَّسُوا ، ولكن ما استطعموا كلامَ النبيِّ ﷺ ، وما ذاقوا حلاوتَه ، فلم يوفَّقوا لفقه كلام النبيِّ العربيِّ الهَاشِمِيِّ إلَّا كما وفِّقوا لفهم كلام الفُقهاء الذين ليس لهم حظٌّ كثيرٌ في لغة القرآن وأدبها ، فنراهم لا يُدهشِهم أدبُه الجليل ، وإنْ قيل لهم في ذلك ؛ قالوا ما لنا ولهذا ، أو ليس هذا مِن شأننا معشر الفقهاء ، وإنَّما لنا إقامة الدليل ، والترجيح ، والتحقيق ، فهم كما قال الشيخ أحمد بن فارس[1] : **يُسَرُّون بما ساءَ به اللبيبُ**

(ويَلِي الحديثَ كتبُ السيرة ، فقد حَفِظَتْ لنا جزءاً كبيراً من كلام العرب الأَقْحَاح ، ومثَّلتْ تلك اللغةَ البليغةَ التي كانت في عصور العربية الأولى ، وهذَّبها الإسلامُ ورقَّقها ، واشتملتْ على قِطَع أدبية لا يوجد لها نظيرٌ في المكتبة العربية المتأخِّرة

اقرأْ في «سِيْرَة ابن هِشَام»[2] حديثَ حَلِيْمَة بنت أبي ذُؤَيْب السَّعْدِيَّة[3]

---

(١) هو أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي : من أئمَّة اللغة والأدب ، قرأ عليه بديع الزمان الهمذاني ، والصاحب ابن عباد وغيرهما من أعيان البيان ، وأصله من قزوين ، وأقام مدةً في همذان ، ثم انتقل إلى الريّ فتوفي بها سنة ٣٩٥هـ ، من تصانيفه المطبوعة : « مقاييس اللغة » و« الصاحبيّ » في علم العربية ، و« جامع التأويل » في تفسر القرآن . (الأعلام : للزركلي ١/١٩٣) .

(٢) ١/١٥٦ـ١٥٧ـ١٥٨

(٣) هي حليمة بنت أبي ذوئب عبد الله بن الحارث بن شِجْنة بن جابر السعدي البكري الهوازني ، من أمَّهات النبي ﷺ في الرضاع . كانت زوجة الحارث بن عبد العزى السعدي من بادية الحديبية ، وكان المرضعات يقدمن إلى مكة من البادية لإرضاع الأطفال ، ويفضِّلن من يكون أبوه حيّاً لبرّه إلَّا أن محمداً ﷺ كان يتيماً ، مات أبوه عبد الله ، فتسلمته حليمة من أمّه « آمنة » ونشأ في بادية بني سعد في الحديبية وأطرافها ، ثم في المدينة ، وعادت به إلى أمّه . وماتت=

عن رضاعة رسول الله ﷺ ، واقرأ فيها قصصَ الاضطهاد والتعذيب ، واقرأ فيها مغازيَ رسول الله ﷺ وحُروبه ، واقرأ في كُتب الحديث والشمائل ، وفي كتب التاريخ والسِّير أحاديثَ الوصف والحيلة ، تجد مِن القدرة الفائقة على الوصف والتعبير والبيان الساحر لدقائق الحياة وخَوالج النفس ، وترى من اللغة النقية الصافية ، واللفظ الخفيف ، والتعبير الدقيق الرقيق ، ما يُطْرِبُكَ ويغْمُرُكَ سُروراً ولَذَّةً وثِقةً وإيماناً بعبقرية هذه اللغة ، ورغبةً في دراستها والتوسُّع فيها

وهكذا صانَ اللهُ هذه اللغةَ الكريمةَ الأمينةَ للقرآن من الضَّياع ، وانتقلتْ ثروتُها من جِيْلٍ إلى جيل ومن كِتَابٍ إلى كتاب ، حتى جاء دورُ التأليف والتاريخ في القرن الثالث والرابع ، وحفظ لنا المؤرِّخون أمثال الطَّبَرِيّ[1] والمَسْعُودِي[2] ، والأُدباء ، أمثال :

= آمنة وعُمره ﷺ ست سنين فكفله جدُّ عبد المطلب . وقدمت حليمة على مكة بعد أن تزوَّج رسول الله ﷺ بخديجة رضي الله عنها ، وشَكَتْ إليه الجدبَ ، فكلَّم ﷺ خديجة بشأنها فأعطته* أربعين شاةً . وقدمت مع زوجها بعد النبوة فأسلما وجاءت إلى النبي ﷺ يوم حنين ، وهو على الجِعْرانة ، فقام إليها وبسط لها رداءَه فجلستْ عليه . ولها رواية عن النبي ﷺ ، روى عنها عبد الله بن جعفر (الأعلام : للزركلي : ٢/ ٢٧١) .

(١) هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري أبو جعفر : المؤرخ المفسِّر الإمام ، من ثقات المؤرِّخين . وُلد في آمل طبرستان ، واستوطن بغداد وتوفي بها سنة ٣١٠هـ . وعرض عليه القضاء فامتنع ، والمظالم فأبى ، وقال ابن الأثير أبو جعفر أوثق مَن نَقل التاريخ ، وفي تفسيره مايدلّ على علم غزير وتحقيق دقيق وكان مجتهداً في أحكام الدين لا يقلِّد أحداً ، بل قلَّده بعضُ الناس وعملوا بأقواله وآرائه وله « أخبار الرسل والملوك » يُعرف بتاريخ الطبري ، و« جامع البيان في تفسير القرآن » يُعرف بتفسير الطبري ، و« اختلاف الفقهاء » و« المسترشد » في علوم الدين .

(٢) هو علي بن الحسين بن علي ، أبو الحسن المسعودي ، من ذرية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : مؤرخ ، رحالة ، بحاثة ، من أهل بغداد ، أقام بمصر وتوفي بها سنة ٣٤٦هـ . قال الذهبي : « عداده في أهل بغداد ، نزل مصر مدة ، وكان معتزلياً » من تصانيفه : « مروج =

الجاحِظ[1] ، وابن قُتَيْبَة[2] وأبي الفَرَج الأَصْبَهانِي[3] ثروةً زاخرةً من الأدب في كُتبهم ، وحفظوا لنا تلك اللغةَ العذبةَ البليغةَ التي كان العرب الصُّرَحاء يتكلَّمون بها في بُيوتهم وعلى موائدهم وفي مجالس انبساطهم ، وجاء منها الشيءُ الكثيرُ في كتاب « البُخلاء » للجاحِظ ، وكتاب « الإمَامَةُ والسِّيَاسَة »[4] لابن قُتَيْبَة ، وكتاب

= الذهبي » و« أخبار الزمان ومن أباده الحدثان » و« التنبيه والإشراف » و« أخبار الخوارج » و« أخبار الأمم من العرب والعجم » وغيرها . (الأعلام : للزركلي : (٤/ ٢٧٧) .

(١) قد سبقت ترجمته في صفحة (٢٨ ـ ٢٩)

(٢) هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، أبو محمد : من أئمة الأدب ، ومن المصنفين المكثرين . وُلد ببغداد وسكن الكوفة . ثم ولي قضاء الدينور مدة ، فنُسب إليها ، وتوفي ببغداد سنة ٢٧٦هـ . ومن كُتبه « تأويل مختلف الحديث » و« أدب الكاتب » و« المعارف » و« المعاني » و« عُيون الأخبار » و« الشعر والشعراء » و« الإمامة السياسة » و« شكل القرآن » و« تفسير غريب القرآن » و« المسائل والأجوبة » في الحديث ، و« غريب الحديث » (الأعلام : للزركلي : ٤/ ١٣٧)

(٣) هو علي بن الحُسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي ، أبو الفرج الأصبهاني : من أئمة الأدب والأعلام في معرفة التاريخ والأنساب والسير ، والآثار واللغة والمغازي . وُلد في أصبهان ، نشأ وتوفي ببغداد سنة ٣٥٦هـ . قال الذهبي : « والعجب أنه أموي شيعي » من كُتبه : « الأغاني » و« مقاتل الطالبيين » و« أيام العرب » و« جمهرة النسب » و« آداب الغرباء » و« الإماء الشواعر » و« التعديل والإنصاف » وغيرها (الأعلام : للزركلي ٤/ ٢٧٨) .

(٤) هو كتاب قيّم جليل يستهوي كلّ أديب وعالم لبيب ، فهو فريد في موضوعه رشيق في أسلوبه ، جمع فيه المؤلفُ من طرائف الأخبار ، ونوادر التاريخ ، وضروب الأراء ، ونُكت السياسة المهمة التي تتعلق بالإمامة والسياسة ، مع ما أضفىٰ عليه لون الخطب الرقيقة ، والرسائل البديعة ، ونوابغ الكلم ، كما أن الكتاب يتجلّى بوفرة المادة ورشاقة الأسلوب وجمال التعبير وروعة البيان مما زاد أناقة الكِتاب وقيمته ، وجعله حاجة الأدباء ، وحجة الباحثين ، وزاد الدارسين . (منشورات من أدب العرب : للأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي ، ص : ٨٢) .

« الأَغَانِي »[1] لأبي الفَرَج الأَصْبَهَانِيّ (على ضآلة قيمة الكتابَين الأخيرين التاريخية) ، و « روضة العُقلاء ونزهة الفُضلاء » ، وكتاب « الإمتاع والمُؤانسة » لأَبِي حَيَّان التَّوْحِيْدِيّ[2] ، وهذه كُتب التاريخ والأدب التي تمثِّل لنا العربيةَ في جمالها الأول ونَقائها الأصيل وسَعتها النادرة)[3]

والعَجَبُ لقَوْمٍ يذهبون بأنفسهم ، ويرونها من الأدب ما يــرون ، تَـرى الـواحـدَ منهـم يحفـظ آلافـاً مـن أبيـات رُؤْبَـةَ بـن العَجَّـاج[4] ،

---

(١) وهو ذخيرة من ذخائر الأدب العربي ، ولولاه لضاع أدب وافر ، ولأصبحت نواح اللغة العربية جميلة مطوية على غرِّها ، ولحُرمنا تلك اللغة العذبة التي كان يتكلَّم بها أهل اللغة في منازلهم وعلى موائدهم وفي مواضع انبساطهم ، والكتاب على مافيه من متعة أدبية ، وثروة لغوية ، وتصوير قائم للمجتمع الإسلامي في القرون الشمهود لها بالخير ، كأن لم يكن فيه إلَّا اللهو المجون ، والتمتع بالحياة ، وهو من الكتب التي أَفسدت الدينَ والأخلاقَ ، وإن صانت الأدبَ والشعرَ والأنصارَ ، قد يُشك في حُس نيَّة صاحبه وسلامة عقيدته . (مختارات من أدب العرب : ١/ ٨٤) .

(٢) هو علي بن محمد بن العباس التوحيدي ، أبو حيان : فيلسوف ، متصوف معتزلي ، نعته ياقوت بشيخ الصوفية ، وفيلسوف الأدباء ، وُلِدَ في شيراز (أو نيسابور) وأقام مدةً ببغداد ، وانتقل إلى الريّ ، فصحب ابن العميد والصاحب ابن عباد ، مات في سنة ٤٠٠هـ . قال الأستاذ كرد علي : « كُتب أبي حيان أسئلة وأجوبة ، وروايات ومساجلات ، ومحاضرات ومحاضر جلسات ، وتقريح وتقريظ ، ونقد ولمز ، وعظ وإرشاد ، وكل صفحة منها تدلُّ على عُلُوِّ كعبه في العلم والفهم ، أنزلتْه منازل أعاظم المنشئين والمؤلفين ، صوَّر فيها العلمَ والأدب في أيامه أحسن صورة . . . إنشاءه طبقة واحدة لم يتعمل في ما يكتب ، ولا عُني بالتنميق والتجسير ، والصقل والتطرية . . . كأنه تلقى باليمين ذاك الأسلوب الذي كاد يموت لموت الجاحظ ، وأتمَّه بما حدث بعد أبي عثمان من فنون القول وضروب المعارف » ومن أشهر كُتبه : « الصداقة والصديق » و « المقابسات » و« الإمتناع والمؤانسة » و« البصائر والذخائر » و« روضة العقلاء ونزهة الفضلاء » . (انظر : « الأعلام » ٤/ ٣٢٦ ، و« مختارت من أدب العرب » ١/ ٨٩) .

(٣) النص الوارد بين القوسين مقتبسٌ من مقدمة العلامة الندوي لكتابه « مختارات من أدب العرب » (١/ ١٣ ـ ٢٤) .

(٤) هو عبد الله بن رؤبة بن لُبيد بن صخر السعدي التميمي ، أبو الشَّعْثاء ، العجَّاج ؛ راجز مجيد=

والرَّاجِز[1] ، وذِي الرُّمَّة[2] ، وأمثالهم .

إنَّ شاعراً من الشُّعراء المُحْدَثِين كان يصلِّي الصَّلواتِ في آخر عُمره بالتَّيَمُّمِ ، ويدلُّ عليه قوله كذا ، وإنَّ امْرَأَ الْقَيْس[3] لمَّا ذهب إلى الرُّوم يستنجد قَيْصَرَ ذهب بطريق كذا ، ويبسِّط القولَ في حُبِّ ابن أَبِي رَبِيْعَة[4] وشِعره ، لو استمليتَه جملةً من جوامع كَلِمِه ﷺ ؛ لسقط في يديه ، وتحيَّر

فنعوذُ بالله مِن سُوء الاختيار

= من الشعراء ، ولد في الجاهلية وقال الشعر فيها ، ثم أسلم وعاش إلى أيام الوليد بن عبد الملك ، ففلج وأقعد ، وهو أول من رفع الرجزَ ، وشبهه بالقصيدة ، وكان لا يهجو ، وهو والد « رؤبة » والراجز المشهور مات سنة نحو ٩٠هـ . (« الأعلام » ٤/ ٨٦ ـ ٨٧)

(١) هو رؤبة بن عبد الله العَجاج بن رؤبة التميمي السعدي ، أبو الجحَّاف ، أبو أبو محمَّد راجز ، من الفصحاء المشهورين ، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية . كان أكثر مقامه في البصرة ، وأخذ عنه أعيانُ أهل اللغة ، وكانوا يحتجُّون بشعره ويقولون بإمامته في اللغة ، مات في البادية سنة ١٤٥هـ . وله « ديوان رجز » . (الأعلام : ٣/ ٣٤)

(٢) هو غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي ، من مضر ، أبو الحارث ، ذو الرُّمة شاعر ، من فحول الطبقة الثانية في عصره قال أبو عمر بن العلاء : « فتح الشعر بامرىء القيس وختم بذي الرُّمة » . أكثر شعره تشبيب وبكاء أطلال ، يذهب في ذلك مذهب الجاهليين ، توفي بأصبهان وقيل : بالبادية سنة ١١٧هـ . (الأعلام : ٥/ ١٢٤) .

(٣) هو امرؤ القيس بن حُجر بن الحارث الكندي ، من بني آكل المُراد : أشهر شعراء العرب على الإطلاق ، يمانيُّ الأصل ، مولده بنجد ، اشتهر بلقبه ، وكان أبوه ملك أسد وغطفان ، وأمُّه أخت المُهلهل الشاعر ، فلقَّنه الشعر ، فقاله وهو غلام ، كُتب الأدب مشحونة بأخباره ، مات نحو ٨٠ق . هـ (الأعلام ٢/ ١١ ـ ١٢)

(٤) هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي القرشي ، أبو الخطاب أرقُّ شعراء عصره ، من طبقة جرير والفرزدق ، ولم يكن في قريش أشعر منه . وُلد في الليلة التي توفي بها عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ، فسمِّي باسمه ، مات غرقاً في البحر سنة ٩٣هـ (الأعلام ٥/ ٥٢)

والحقُّ أنَّ حديثَ رسول الله ﷺ كدِينه ـ كما قال نابغة كُتَّاب الشرق[1] ـ ضاعَ بين جاحدٍ وجامدٍ .

هذه سُطورٌ عَلَّقتُها على تشتُّتِ بالٍ ، وتزاحُمِ أشغالٍ ، وعَسى اللهُ أن يوفِّقنا لإفراد كتابٍ في هذا الباب[2] ، وعلى الله قصد السَّبيل .

* * *

---

(١) لعلَّه أراد به الأستاذَ مصطفى صادق الرافعي .

(٢) وقد حقَّق اللهُ أمنية العلاَّمة الندوي هذه ، ووفَّقه بوضع كتابٍ مستقلٍّ في هذا الباب ، صدر في جُزئين يحمل اسمَ « مختارات من أدب العرب » ، تناول ـ رحمه الله ـ فيه أولاً الأدبَ النبوي من الأحاديث ، ثم الأدب الإسلامي ؛ هو باختيار نصوص فيه من أمَّهات كُتب الأدب العربي ، وقد بذل العلاَّمةُ مجهودات ضخمة مضنية ، وأنفق سنوات طوال في إخراج هذه النصوص المختارة . هذا الكتاب على مقدمته الأدبية القيمة الخطيرة كان نواةً للأدب الإسلامي المعاصر وحركته القوية الجياشة نال الكتابُ منذ أول يوم صدوره إعجابَ كبار أدباء العرب ، وكان في مقدمتهم العلاَّمة الشيخ علي الطنطاوي ـ رحمه الله ـ ، وقُرِّر في مقرَّرات الجامعات والمعاهد الإسلامية في بلاد شبه القارة الهندية والعرب .
وبعد . . . فأرى من اللِّزام أن أشير هنا على من يُريد أن يستزيد بقراءة الأدب النبويّ إلى كُتُبٍ قيِّمةٍ صدرتْ أخيراً بقلم بعض فطاحل العلماء في العالم العربي والإسلامي ، تتناول الحديثَ النبويَّ الشريف ، وتعرض النماذجَ المختلفة ، وتلفت النظرَ إلى جوانبها الفنية والبلاغية في إطارٍ واسعٍ في أسلوبٍ علميٍّ نقديٍّ رزينٍ ، وتسدُّ ثغرةً في احتياج المثقَّف عامةً والعربي خاصةً ، إلى تذوُّق هذا اللون البيان المتميز والمتفوق على كل بيان بشري ، ونكتفي هنا بذكر أهمِّ تلك الكُتب ، فمنها
١ ـ **في ظلال الحديث النبوي دراسة فكرية اجتماعية وأدبية جمالية معاصرة** : لفضيلة أستاذنا المحدِّث العلاَّمة الدكتور نور الدين عتر ـ حفظه الله ومدَّ في عمره ـ .
٢ ـ **روائع من أقوال الرَّسول ﷺ دراسات لغوية وفكرية وأدبية** : للشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ـ حفظه الله وأمتع به ـ طبع دار القلم بدمشق .
٣ ـ **الروائع والبدائع في البيان النبوي** : لفضيلة أستاذنا الشيخ محمد نعمان الدين الندوي ـ حفظه الله وأمتع به ـ طبع دار الصحوة بالقاهرة ، ودار الشهاب بدمشق .



القسم الثالث :

دراسة

للسِّيرة النبوية
من خلال الأدعية المأثورة المرويَّة

إبرازٌ لجوانب في السيرة النبويَّة المحمديَّة ، ومظاهر الإعجاز والإلهام فيها ، مؤسَّساً على الدعاء والمناجاة لله تعالى الصحيحة الثابتة عن الرَّسول الأعظم ﷺ

واستعراضُ لجوانب خلقية نفيسة ، واجتماعية وأدبية في أدعية الرسول ﷺ .



الفضائل النبوية لها فرعان :

يُمكِن أنْ نقسِّمَ الفضائل النبوية التي توفَّرت في شخصية النَّبي الكريم ﷺ على قِسمين « العبودية الكاملة » و « النبوة الجامعة »

الدُّعاء والدَّعوة :

الدُّعاءُ هو مظهر العُبودية ، كما أنَّ مظهر النبوَّة هو الدَّعوة ، كلاهما من أهمِّ وأبرز عناوين السيرة المحمَّدية ، وناحيتان متفرِّدتان ، وفصلان مستقلَّان لهذه الصحيفة المعجزة

أمَّا **الدَّعوةُ** ؛ فقد وقع عليها نظرُ كلِّ دارسٍ ، ولفتت عنايةَ كلِّ باحثٍ ، وزخرت الكتب والمؤلَّفات بتفاصيلها ، وتنوَّر العالمُ كلُّه بأنوارها ، ولا يزال يتمتَّع بآثارها وثمارها ، وذلك لأنَّ الدعوة تتعلَّق بالمشاهد والمجالس ، فشهدها كلُّ إنسان جليَّةً واضحةً

وأمَّا **الدُّعاءُ** فقد قلَّ عددُ مَنْ تأمَّل فيما يحمله من الأهميَّة مِن بين جوانب السيرة ، وما كان نصيبه من التأثير في الدعوة النبوية نفسها ، وإلى أيِّ حدٍّ من الأوج والكمال انتهى النبيُّ ﷺ بهذه الناحية للعبودية والخضوع التامِّ أمام الرَّب ، وكيف قام بإحياء هذه الناحية الهامَّة وإنمائها وريِّها وسقيها ـ وقد كانت ضائعةً مهملةً كجميع نواحي العبادة والعبودية ـ ولم يلحق برفيقه الأعلى إلَّا بعدما قام بتكميلها وتعميمها

ضَعف الصِّلة بين العبد والمعبود في الجاهلية :

كلُّ مَن درَسَ تاريخ العقائد والدِّيانات دراسةً عميقةً شاملةً ، وأحاط به في معنى الكلمة عرف جيداً أنَّ الصِّلة بين العبد والمعبود في هذا العهد ـ الذي يسمَّى بالجاهلية ـ قد ضَعفتْ ، واضمحلَّتْ ، حتى نضب معين الدُّعاء ـ الذي ينبع من اليقين ، والحبِّ ، والخشوع والخشية ـ في داخل النفوس البشريَّة ، وقد تعلَّق العبد ـ فيما يتعلَّق بنفسه وبالمعبود معاً ـ بأوهامٍ وأخيلةٍ كان معها من المستحيل أن تتحرَّك في النفوس عاطفة الدُّعاء ، وتشعر بالحاجة إليها ، فإنَّ الدُّعاء لا يكاد يصدر حتى يتمكَّن العبدُ من الإيمان بالذي يحقِّق جميع متطلَّباته وحاجاته ، ثمَّ من اليقين بأنَّه مليكٌ مقتدرٌ على كلِّ شيءٍ ، ثم من الثقة بأنه لا ملجأَ إلَّا إليه ، ولا مُعطِيَ إلَّا هو ، وبالتالي من الإيمان بأنه يُحِبُّ الإعطاء ، وأنَّ المحبة والرحمة ، والجود والسَّخاء ، والكرم والعطاء ، من أهمِّ صفاته ، وأكرم أخلاقه ، ويفرح ـ عزَّ وجلَّ بالإعطاء فرحاً لا يفرحه أحدٌ بالأخذ والقبول ، ثمَّ من التأكُّد أنَّ العبد احتياجٌ في احتياجٍ ، وسؤالٌ في سؤالٍ ، وفقرٌ في فقرٍ ، وأنَّ المعبود أقرب إلى العبد بأكثر مما يتصوَّر من كلِّ شيءٍ في الكون ، حتى مِن نفسه ، بل إنه أقرب إليه من حبل الوريد ، يُجيب دعوة الداعي إذا دعاه ، ويُقبِل على نصره إذا ما استنصره ، ويؤتي سُؤله ، ويقضي حاجته ويفرِّج كربته

نَفي الصفات وأثره في النفوس البشرية :

إنَّ نظرةً عابرةً على التاريخ الجاهليِّ كفيلةٌ بالدَّلالة على ما لقيه كلُّ يقينٍ هناك من تزعزعٍ واضمحلالٍ ، وكم ثارت حول الحقائق من الشكوك

والشبهات ، وكم خيَّمت عليها من الأوهام والمغالطات ؟

أمّا الفلسفةُ الإغريقيةُ[١] فيفضل إباؤها الشديد لصفات « واجب الوجود » أو « المبدء الأول » وتأكيدها على تجريده من كلِّ وصفٍ ، وإصرارها الأكيد على إثبات الذات المجرّدة من كلِّ وصفٍ ، وإيمانها بذلك إيماناً لا تشوبه شائبةٌ من الشكِّ ، قد سدَّتْ بابَ الدُّعاء والالتجاء ، وقطعتْ كلَّ خيطٍ من الأمل والرجاء ، فما معنى السؤال والاستغاثة ـ يا ترى ـ بمَن تجرَّد من كلِّ صفةٍ ، وتخلَّى من كلِّ قوَّة ، وفرغ من كلِّ كمالٍ ؟!

والذي لا دخلَ له في أيِّ شأنٍ من شؤون الكون ، وفي أيِّ أمرٍ من أموره ، وقد تعطَّل بعدما خلق « العقل الأول » ، و « الواحد » الذي لا يمكن أن يصدر عنه إلَّا « واحد » ، وقد انتهى هذا الصدور ـ فيما تعتقده الفلسفةُ اليونانيةُ القديمةُ ـ فكيف يصحُّ الأمل في صدور الأعمال عنه متتابعة في كلِّ حينٍ وآنٍ

عقيدة الشّرك والوثنية تمنعان عن الدُّعاء :

وبالعكس مِن ذلك كانت الوثنية والعقيدة الجاهلية قد خلعتَا كلَّ صفةٍ من صفات الإله على أشخاصٍ ممَّن خلق ، فهذا يحمل القدرة على الإحياء ، وذاك يقدر على الرزق ، وهذا عِلْمُه محيطٌ ، فأصبح له كلُّ غيبٍ كالشهود ، وذاك يستطيع أن يصلَ متى شاءَ إلى مَن شاءَ ، وهكذا فهل كان هناك رجاءٌ في السؤال ـ والحال على هذا المِنْوال ـ مِن « الإله الواحد » والالتجاء والرجوع إليه ؟

---

(١) أي اليونانية .

ولا سِيَّما إذا كان هذا الإلهُ ما وراء الرؤية ، وما فوق الإدراك ، على حين كانت الآلهة « المحلية » مشهودةً محسوسةً ، وفي متناوَل اليد ، ولا يعزبنَّ عن البال أنَّ الصفات والأعمال الإلهية قد أصبحتْ هناك في طيِّ النسيان ، وضمير الغيب ، لا تكاد تذكر ، على حين كانت النَّوادي والمجالس عامرةً بذكر مآثر « الآلهة الكثيرة » وأعمالها الجليلة ، وكانت القلوب والأذهان مأخوذةً بمكارمها النبيلة ، وصنائعها المجيدة « فالوضع الذهني والفكريُّ » الذي صوَّره القرآن الكريم كانت نتيجةً حتميَّةً منطقيَّةً لهذه البيئة : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾[1]

الفلسفة اليُونانية والعقيدة الجاهلية وأثرهما :

على كلٍّ فالفلسفة اليونانية ـ بتأثير موقفها الذي وقفته من الصفات ـ قد قفلتْ كلَّ بابٍ من أبواب الدُّعاء ، والالتجاء ، كما أنَّ عقيدة الشرك ـ بحكم إسباغها للأوصاف والكمالات الإلهية على الخلق ـ قد اتَّجهتْ بكلِّ ما تنطوي عليه كلماتُ الدُّعاء ، والتضرُّع ، والسُّؤال من الخالق إلى المخلوق ، وغيَّرتْ اتجاهَها من العابد إلى المعبود ، فكِلتاهما ـ الفلسفة اليونانية وعقيدة الشرك ـ أدَّتا إلى نتيجةٍ واحدةٍ موضوعيةٍ ، وهي أنْ أصبح السؤال من الله ـ الخالق ـ مباشرةً ، والالتجاء إليه ، والإطِّراح على عتبته دون وساطة من المعاني التي لا تُدْرَك ، والغايات التي لا تُقْصَد ، ولذلك فلا تجد في هذه الفترة حتى أشخاصاً معدودين ، متعوِّدين على الدعاء ،

---

(١) سورة الزمر ، الآية : ٤٥

عارفين الطريق إلى الالتجاء ، مُرتاحين إليه بألسِنتهم ، وضمائِرهم ، وقُلوبهم .

فَضل الرّسول ﷺ على الإنسانية :

ومِن فضل محمَّد رسول الله ﷺ ـ فَدَتْه أنفسنا وأرواحنا ـ أنه أَعاد إلى الإنسانيَّة المحرومة ثروتها المفقودة ـ الدُّعاء ـ وجعل العبد يتشرَّف بالمناجاة مع ربِّه ، والتكلُّم معه ، فكأنَّه أَعاد إليه لذَّة العبادة ، بل ولذَّة الحياة ، وشرفها ، وكرامتها ، وأتاح للإنسانية المطرودة أن تتشرَّف باللقاء ، وتتمتَّع بالحضور والاجتماع ، وعاد ابنُ آدم الآبق من ربِّه إلى عتبة ربِّه معتذراً ، يقول بلسان حاله

إلٰهي عبدُكَ العاصي أتَاكا مُقِرّاً بالذُّنوب وقد دَعاكا

عامل من عوامل الحِرمان من الدُّعاء :

كانتْ مِن عوامل الحِرمان الكبرى من الدُّعاء هي فكرة الجاهلية الخاطئة أنَّ الله بعيدٌ عنَّا ، فكيف يصل إليه صوتُنا ؟ فأعلن النبيُّ ﷺ من قبل الله ، وبشَّر العبد ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[1]

النّافع والضّار الحقيقي :

وكانت العقيدةُ الثانيةُ الفاسدةُ : أنَّ هناك مِنْ غير الله مَنْ يملك النفعَ والضَّرَّ ، ويقدر على الإعانة والإغاثة ، ومن جِناية هذه العقيدة أنها حوَّلتْ

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٨٦

اتجاهَ الدُّعاء ، والاستغاثة ، والاستنجاد بالنَّافع والضَّارِّ الحقيقيِّ إلى الآلهة « المساعدين » فأعلن النبيُّ ﷺ بكلِّ قوَّةٍ وصراحةٍ هذا الإعلان الذي وجِّه إليه مباشرةً ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[1]

للدُّعاء شأنٌ أيُّ شأنٍ :

ولم يصرِّح النبيُّ ـ عليه الصلاة والسلام ـ بأنَّ العبد يستطيع أن يدعو معبودَه ، والمعبودُ يُجيب دعوتَه فينصره ، لم يصرِّح بذلك فحسب ، بل وأثبت ذلك أنّ الدعاء مطالبٌ به من الله ، ويسبِّب رضاه ، ويجلب سروره ، كما أنَّ الإضراب عنه يسبب سخطه وغضبه ، والدعاء أبرز مظاهر العبودية ، وأوضح عناوينها ، وأعمقها أثراً ، والإعراض عن الدعاء دلالةٌ على الاستكبار ، والعِصيان ، والطُّغيان ، وقد أدَّى إعلان النبيِّ ﷺ بالدُّعاء إلى ما أدَّى ، فانتهى به من أعمال العبادة الإجبارية إلى مكانة العبادة العظمى ، ووسائل التقرُّب الكبرى :

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[2]

---

(١) سورة يونس ، الآية : ١٠٤ ـ ١٠٧

(٢) سورة غافر ، الآية ٦٠

وتدلُّ أحاديثُ النبيِّ ﷺ الصريحة الدَّلالة على أنَّ عَدَمَ الدُّعاءِ والالتجاء إلى الله ليس من عوامل الشقاء والحِرمان فحسب ، بل هو يجلب سخط اللهَ وغضبه ، فيقول الحديث « مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ يَغْضَبْ عَلَيه »[1] ولم يكتف بذلك ، فجعل الدعاءَ مخَّ العبادة ، وقال « الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ[2] » وجعله مفتاح الرحمة والبركة ، فقال « مَنْ فُتِحَ لَهُ مِنْكُمْ بَابُ الدُّعَاءِ ، فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ »[3]

الأدعية المأثورة دلائل مستقلةٌ على النُّبوّة :

ولمْ تكتفِ النُّبوةُ المحمَّديةُ ـ على صاحبها الصَّلاة والسلام ـ بهذا التجديد في الدعاء ، ولم تقتصر على هذا القدر من التكميل في بابه ، بل تخطَّتْه ، فبينما علَّمَنا النبيُّ الدعاءَ إذا هو جعل مكتباتِ العالم الأدبية تزخر وتموج ، فعادت تفيض بالجَواهر ، واليَواقِيت التي أَعْيَتْ آداب العالم ـ على غِناها ـ عن أن تقدِّم نظيرَها في لمعانها ، وصفائها ، وبهائها ، اللهمَّ إلَّا بعض الصُّحف السماوية والكتب المنزَّلة ، فقد دعا ربَّه بكلماتٍ

---

(١) أخرجه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه ، في أبواب الدعوات ، باب منه « لم يسأل الله يغضب عليه . . . ، برقم (٣٣٧٣)

(٢) أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، في أبواب الدعوات ، باب منه « الدعاء مخ العبادة » برقم (٣٣٧١) ، وقال : هذا حديث غريب من هذا الوجه ، لا نعرفه إلا من حديث ابن لُهيعة .

(٣) أخرجه الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما ، في كتاب الدعوات ، باب من فتح له منكم باب الدعاء . . . ، برقم (٣٥٤٨) ، وقال هذا حديث غريب ، لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر القُرشي ، وهو ضعيف في الحديث (انظر : « تقريب التهذيب » ٣٨١٣)

وألفاظِ لم يستطع أحد ـ ولن يستطيع ـ أن يأتي بأكثر منها تأثيراً وبلاغةً ، وأحسن منها اعتدالاً ، واتِّزاناً

ومِن ثمَّ فهذه الأدعية دليلٌ مستقلٌّ من دلائل نبوَّته ﷺ ، ومعجزة ذاتية كمعجزاته الأخرى الكثيرة ، وأنها ـ بنفس الوقت ـ تدلُّ دلالةً صارخةً على أنَّها إنَّما جرتْ على لسان رسول مِن رُسُل الله ، فيُشِعُّ منها نور النبوَّة ، ويتجلَّى فيها يقين الأنبياء ، وتمتزجها عبودية « العبد الكامل » وتواضعه ، ويتجلَّى فيها اعتماد حبيب ربِّ العالمين ، وثقته ، ودلاله وغُناجه[1] ، وتسري فيها طبيعة النبوَّة مع بساطتها وعفتها ، وتجمع بين بساطة القلب المتألم وانكساره ، وإلحاح ذي الحاجة ، وقلقه ، واضطراره ، وحزم من يقف على آداب العتبة الإلهية والبلاط القدسيِّ وأدبه ، والاعتماد على مواساة المواسي وإغاثته ، وبين إظهار الألم ، وإعلان الواقع الصَّادق ، كما قال الشاعر الفارسي

« ربِّ قد أصبتَني بالألم ، فواسيتَني أنت ، واحتضنتَني أنت بالعطف والحنان ، وعالجتَني أنت بنفسك »

قيمة الدُّعاء الأدبية :

إنَّ هذه الأدعيةَ المأثورةَ تحتلُّ ـ بالإضافة إلى قيمتها الرُّوحية وحقيقتها المعنوية ـ أعلى مكانةٍ أدبيةٍ وأرفعها ، وإنَّها دُرَرُ الأدب اليتيمة ، وآثاره النادرة الخالدة التي ينقطع نظيرها في المكتبات الأدبية البشرية بأسرها

---

(١) الغُنَاج : الدَّلال

هناك رسائلُ شخصيةٌ قد نالتْ مِن نُقَّاد الأدب مكانةً كبيرةً ؛ لأنَّها تحمل سذاجةً ، وتتنزَّه عن التصنُّع ، وتعبِّر عن عواطف القلب تعبيراً صادقاً ، بَيْدَ أنه قد فاتهم أن يُدرِكوا أنَّ هناك نوعاً من الأدب يحمل من السَّذاجة والحقيقة ما لا تحمله الرسائل والكتابات ، وتصبح هناك المصطلحات اللغوية بأنواعها هباءً منثوراً حينما يصب فيها المتكلِّم عُصارة قلبه ، ويعبِّر لسانه عن القلب بأصحِّ ما يكون ، وأصدق ما يتصوَّر ، ويستغني المتكلِّم عن الترحيب والتحبيذ[1] ، والإشادة والتقدير ، ولا يحسب حساباً للسَّامع ، بل يخاطب قلبه ، ويتناجى مع مشاعره ، ويتحدَّث مع عواطفه ، وهذا النَّوع من الأدب الرَّفيع هو « الدُّعاء » و« المُناجاة »

الإخلاص والصدق والواقعية من أَهَمّ عناصر الأدب :

إنَّ مِن أهمِّ عناصر الأدب هما الإخلاص والصدق ـ اللَّذان ظلَّ يتغافل عنهما معظمُ نقَّاد الأدب ، واللَّذان يهبان الأدبَ روحاً ، وقوَّةً ، وحيويَّةً ، ويجعلانه حقيقةً أبديةً خالدةً ـ وقد اتَّسم « الدعاء » و « المناجاة » بهذين العنصرين ما لم يتَّسِم ـ ولا يُمكن أن يتَّسِم ـ به أيَّ نوعٍ من أنواع الأدب ، فكيف إذا كان الدَّاعي والمُناجي رقيقَ القلب ، وجريحَ الكبد ؟ وله كلُّ نصيبٍ من القدرة على التعبير عن ألمه بأنواع الأساليب ؟ فتكون الكلمات الصَّادرة عن لسانه معجزةً من الأدب ، فإنها أفلاذ كبده ، وقِطَع قلبه ، ودُمُوع عينيه ، فتَملك القلوب ، وتبكي آلاف البشر قروناً طِوالًا ! أمَّا إذا كانت هذه الكلمات قد جَرتْ على لسانٍ تكرَّر عليه الوحي الإلهي ،

---

(١) التحبيذ : هو أن يقول أحد لفلان « حبَّذا »

وامتلك ناصية البلاغة وعِنان الفصاحة ، فلا تسأل عن تأثيرها وإعجازها !

تعالوا نُلْقِ نظرةً على الأدعية التي أُثِرتْ عن رسول الله ﷺ في دواوين الأحاديث ، وكتب التاريخ ، والسِّير ، ولننظر : هل يستطيع أحدُنا ـ مهما بلغ مِن تضلُّعه من الأدب ، وبراعته في الفنون الأدبية والأساليب البيانيَّة ـ أن يأتي ـ وهو يريد أن يُبدي عجزَه ، وضعفه ، ويصوِّر فقرَه ، واحتياجَه ، ويستجلب رحمةَ ربِّه ، ويستمطر سحابةَ كرمِه ـ بكلماتٍ أشدَّ منها تأثيراً ، وأدقَّ منها دلالةً على المعاني ، وأكثر منها قلَّةً في المباني ، وأحسن منها وقعاً في النفوس ، وجذباً للقلوب ، وسحراً للأذهان والعُقول



الدُّعاء الذي دعاه النبيُّ ﷺ في الطَّائِف

تصوَّرْ سفرَه ﷺ إلى الطائف ، وما يحفُّه ، وأَرسِل النظرَ إلى قلب المسافر المتكسِّر ، وقدميه المتضرِّجتين بالدَّم ، واقْرأ في هذه البيئة الظالمة الخانقة

« اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي ، وقِلَّة حِيْلَتِي ، وهَوَانِي[1] على النَّاسِ ، يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْن ، أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِيْن ! وأَنْتَ ربِّي إلى مَن تَكِلُنِي ؟ إلى بَعِيْدٍ يَتَجَهَّمُنِي[2] ، أَمْ إِلَى عَدُوٍّ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي ، إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ غَضَبٌ فَلَا أُبَالِي ، ولكِنَّ عَافِيَتُكَ هِيَ أَوْسَعُ لِيْ ، أَعُوْذُ بِنُوْرِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ[3] ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالآخِرَة ، مِنْ أَنْ

---

(١) الهَوَان : الاستخفاف بالشيء والاستحقار

(٢) التجَهُّم : الاستقبال بوجهٍ كريهٍ

(٣) الوجه : إذا جاء ذكره في الكتاب والسنة ، فهو ينقسم في الذكر إلى موطنين :
الأول : موطن تقرُّب واسترضاء بعمل كقوله تعالى ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ وكقوله ﴿ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ﴾ ، فالمطلوب في هذا الموطن رضاه وقبوله للعمل ، وإقباله على العبد العامل ، وأصله أن من رضي عنك أقبل عليك ، ومن غضب عليك أعرض عنك ، ولم يرك وجهه
والموطن الثاني من مواطن ذكر الوجه يُراد به ما ظهر إلى القلوب والبصائر من أوصاف جلاله ومجده ، كقوله تعالى : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ والوجه لغةً ما ظهر من الشيء معقولاً كان أو محسوساً
أمّا النور فعبارة عن الظهور وانكشاف الحقائق الإلهية ، وبه أشرقت الظلماتُ ، أي أشرقت محالها ، وهي القلوب التي كانت فيها ظلمات الجهالة والشكوك (انظر حاشية « السيرة النبوية » لابن هشام ، (١/ ٣٦٥)

تَنْزِلَ بِي غَضَبُكَ ، أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ سَخَطُكَ ، لَكَ العُتْبَى[1] حَتَّى تَرْضَى ، وَلَا حَوْلَ ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ »[2]

أفهَلْ تستطيع أن تأتي ـ وقد تكيَّفَتْ نفسُك بهذه الكيفية العجيبة ـ بكلمات أحسن منها وأوقع ؟

أو هل تقدر مكتباتُ العالَم الأدبية الغنية على أن تُسعِفك بألفاظٍ أكثر منها رشاقةً ، وأحسن منها صياغةً ؟!

* * *

---

(١) العُتْبَىٰ : الرجوع عن الذنب والإساءة .

(٢) جاء هذا الدعاء في تاريخ الطبري بهذه الألفاظ ، وقد أخرجه صاحب « كنز العمال » بتغيير يسيرٍ . انظر : السيرة النبوية ، لابن هشام (٢/ ٢٦٨) ، وتاريخ الطبري (١/ ٥٥٤) ، وتفسير القرطبي (١٦/ ٢١١) ، وتفسير ابن كثير (٤/ ١٦٤)

الدُّعاء الذي دَعَاه النبيُّ ﷺ في ميدان عرفات

تصوَّرْ كذلك ميدانَ « عرفات » ، وما حواه من مئةٍ وعشرين ألفاً من الدَّاعين المُبْتَهِلين والخاشعين المُنصِتين ، وهو يُدوِّي بأصداء « اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ، اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ » ويتجاوب مع أدعية الحجَّاج الكِرام ، وقد تجلَّت فيه صمديَّةُ الأحد الصَّمد ، وَعَظَمَتِه وجَبَرُوْتِه ، ترى في هذا الحشد العظيم الكريم « رَجُلاً » ، حاسراً عن رأسه ، لابساً إحرامَه ـ فِدَاه أبي وأمِّي ـ يحمل على عاتقه مسؤولية البَشَرِيَّة جَمْعَاء ، ويُشاهِد عظمةَ الإلٰه وكِبْرِيَائه أكثر من كلِّ مَن يستطيع هذه المشاهدةَ ، ويطلع على عجز الإنسان وضعفه وعيِّه أكبرُ مِن كلِّ من يقدر على هذا الاطِّلاع ، في هذا الجوِّ المَهِيب ، يُدوِّي بصوته الأرجاء ، فيسمعه السَّامِعُون

« **اللَّهُمَّ ! إنَّكَ تَسْمَعُ كَلاَمِي ، وتَرَى مَكَانِي ، وتَعْلَم سِرِّي وعَلاَنِيَّتِي ، لَا يَخْفَى عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِي ، وأَنَا البَائِسُ الفَقِيْرُ ، المُسْتَغِيْثُ المُسْتَجِيْرُ ، الوَجِلُ المُشْفِقُ ، المُقِرُّ المُعْتَرِفُ بِذَنْبِي ، أَسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ المِسْكِيْنِ ، وأَبْتَهِلُ إِلَيْكَ ابْتِهَالَ المُذْنِبِ الذَّلِيْلِ ، وأَدْعُوْكَ دُعَاءَ الخَائِفِ الضَّرِيْرِ ، فَاضَتْ لَكَ عِبْرَتُهُ ، وذَلَّ لَكَ جِسْمُهُ ، ورَغَمَ لَكَ أَنْفُهُ**

اللَّهُمَّ ! لَا تَجْعَلْنِي بِدُعَائِكَ شَقِيّاً ، وَكُنْ رَؤُوْفاً رَحِيْماً ، يَا خَيْرَ المَسْؤُوْلِيْنَ ! وَيَا خَيْرَ المُعْطِيْنَ ! »[1]

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ١٧٤) برقم (١١٤٠٥) ، وفي الصغير (٢/ ١٥) برقم (٦٩٦)=

أفهَلْ يستطيع الإنسانُ أن يجدَ ـ لكي يعبِّر عن كِبْرِياء الله وعظمته ، ويعترف بعجزه وضعفه ، وفقره واحتياجه وقلَّة حيلته وهَوانه ، ويُثير رحمة ربِّه ، ويستجلب كرمَه ـ كلماتٍ أكثر منها وقعاً ، وأغنى منها إخلاصاً ، وأشدَّ منها جذباً للنفوس ونُفوذاً في القلوب أو هل يستطيع أحدُنا أن يصوِّر كيفية قلبه ، وعجزه ومسكنته ، بأحسن من ذلك وأدقَّ منه ؟

وايْم الله ! إنَّ هذه الكلمات لكفيلةٌ بإثارة سَحَابة كَرَم الكريم الحقيقيِّ ، وكلَّما تكرِّرها الأذهانُ ، ويجري بها اللسانُ تفيض العيونُ دموعاً ، وتتراءى الرَّحمةُ الإلهيةُ مقبلةً ، فأَلْفُ ألف صلاةٍ وسلامٍ على مَن هو رحمةٌ للعالمين وسيد المعلِّمين ؛ إذ أنَّه علَّم أُمَّتَه هذه الأدعيةَ الرائعة ذات الأثر البالغ ، والصياغة الدَّقيقة ، وعرَّفنا كيف نقرع « باب الرحمة »

اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم عليه وعلى عِتْرَتِه بعَدَدِ كلِّ معلومٍ لكَ

* * *

= عن ابن عباس رضي الله عنه ، وقال الهيثمي في المجمع (٣/ ٢٥٢) : رواه الطبراني في الكبير والصغير ، وفيه يحيى بن صالح الإبلي ، قال العُقيليُّ : روى عنه يحيى بن بكير مناكير ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

الاعتراف بعجزه وضعفه

لكي يستميلَ الإنسانُ المَلِكَ المُقْتَدِرَ ، القَويَّ الغنِيَّ ، القادرَ المطلقَ ، السلطانَ العادلَ ، ويستجلب رحمتَه ، وعطفَه ، وحنانَه ، لا سبيلَ إلى ذلك إلَّا بالاعتراف بعجزه وضعفه ، وعُبوديته ونقصه ، بأحسن ما يكون الاعترافُ بأنَّه عبدُ الملك كابِراً عن كابرٍ ، وجِيْلاً بعد جيلٍ ، فهو مملوكٌ ابن مملوك . . . إلخ ، وهو متسوِّل على باب السُّلطان القديم ، وربيب هذا النعيم العميم ، والسُّلطان يملك نفسَه وماله ، وكلُّ شيء بيده ، إذاً فمَن يرحم عبده ويُواسِيه من بعده ؟ ، فلننظرْ هل يمكن لأحدٍ أن يأتي بهذه المقدمة « اللازمة » بأحسن ممَّا أَتى به محمدٌ رسول الله ﷺ ، يدعو ربَّه ، فيَفيض لسانُه بما يلي

« اللَّهُمَّ ! إنِّي عَبْدُكَ وابْنُ عَبْدِكَ ، وابْنُ أَمَتِكَ ، نَاصِيَتِيْ بِيَدِكَ ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحداً مِنْ خَلْقِكَ ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ العَظِيْمَ رَبِيْعَ قَلْبِيْ ، ونُوْرَ بَصَرِي ، وجَلَاءَ حُزْنِي ، وذَهَابَ غَمِّي »[1]

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ، وأحمد في المسند (١/٣٩١) ، برقم (٣٧١٢)و ، ص(٤٥٢) ، برقم (٤٣١٨) ، والهيثمي في المسند (٢/٩٥٧) ، برقم (١٠٥٧) ، والبزار في المسنده (٥/٣٦٣) ، برقم (١٩٩٤) ، وأبو يعلى في المسند (٩/١٩٩) ، والطبراني في الكبير (١٠/١٩٩) برقم (١٠٣٥٢) ، والحاكم في المستدرك (١/ ٦٩٠) برقم (١٨٧٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

التمثيل الصادق الجامع للحوائج البشرية

إنَّ حاجاتِ الإنسان لا يأتي عليها الحصرُ ، واختيارُها صعبٌ ، واستقصاؤها أشقُّ ، إذاً فأيُّ حاجةٍ يسألها ، وأيُّ حاجة يتركها ، شيءٌ في منتهى الصعوبة ، وغاية الحرج

ولننظُرَ في حاجاتنا ، لو أُتيح لنا فرصةُ سُؤالها واستشباعها ، لتُواجِهنا الصعوبةُ ، ويعقبها التلهُّف والأسف ، فانظرْ كيف عبَّر النبيُّ ـ عليه الصلاة والسلام ـ عن حاجيات الإنسان أدقَّ تعبيرٍ ، وكيف مَثَّلَ الإنسانية كلَّها تمثيلاً صادقاً جامعاً شاملاً ـ إذا كانت هذه الإنسانيةُ سليمةَ الطبع ، صحيحةَ الإدراك

« لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ الحَلِيْمُ الْكَرِيْمُ، سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيْمِ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ ، أَسْأَلُكَ مُوْجِبَاتِ رَحْمَتِكَ ، وعَزَائِمِ مَغْفِرَتِكَ ، وَالْغَنِيْمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ ، وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ ، لَا تَدَعْ لِي ذَنْباً إِلَّا غَفَرْتَهُ ، وَلَا هَمّاً إِلَّا فَرَّجْتَهُ، وَلَا حَاجَةً هِيَ لَكَ رِضاً إِلَّا قَضَيْتَهَا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ! »[1]

ويقولُ في دعاءٍ آخَر

« اللَّهُمَّ ! أَصْلِحْ لِي دِيْنِي الَّذِي هُوْ عِصْمَةُ أَمْرِي ، وأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ

---

(١) أخرجه الترمذي في أبواب الصلاة ، باب ما جاء في صلاة الحاجة ، برقم (٤٧٩) ، وابن ماجه في كتاب الصلاة ، باب ما جاء في صلاة الحاجة ، برقم (١٣٨٤) من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه

الَّتِي فِيْهَا مَعَاشِي ، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيْها مَعَادِي[1] ، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ ، واجْعَلِ المَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ »[2]

* * *

(١) مَعَادِي ، أي : ما يعودُ إليه يوم القيامة

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء ، باب في الأدعية ، برقم (٢٧٢٠) ، والطبراني في الأوسط (٧/١٩٨) برقم (٧٢٦١) ، وفي الصغير (٢/١٢٧) برقم (٩٠١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

الرَّاحة التي لا تنتهي ، والسُّرور الذي لا ينفَد

ما أَحْرَصَ الإنسانُ على الرَّاحة واللَّذَّة ! غير أنه قصيرُ النظر ، فهو يطلب اللَّذةَ الفانيةَ ، ويسعى للمسرَّة الزائلة ، والنبيُّ ﷺ يُدرِك ذلك ، فيعلِّم أُمَّته مِن خلال أدعيته أنَّ ما ينبغي أن يطلبه الإنسانُ هو اللَّذةَ الباقية ، والراحةَ الدائمة ، والمسرَّةَ في الحياة الآخرة ، ولذَّةَ النظر إلى وجه الله الكريم ، والشوقَ إلى لقائه ، فيقول :

« اللَّهُمَّ ! إنِّي أَسْأَلُكَ نَعِيْمَاً لَا يَنْفَدُ ، وقُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ ، وأَسْأَلُكَ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ ، وبَرْدِ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ ، ولَذَّةَ النَّظَرِ إلى وَجْهِكَ ، والشَّوْقَ إلى لِقَائِكَ »[1]

* * *

---

(١) أخرجه النسائي في كتاب السهو ، باب الدعاء بعد الذكر ، برقم (١٣٠٦) ، والحاكم في المستدرك (١/ ٧٠٥) برقم (١٩٢٣) ، وابن حبان في الصحيح (٥/ ٣٠٥) برقم (١٩٧١)، والبزار في المسند (٤/ ٢٢٩) برقم (١٣٢٩) من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه .

الحقائقُ التارِيخيةُ والدّقائقُ النفسيَّةُ في الأدعية المأثورة

إنَّ الخُلُقَ الحسنَ أَغْلى نعمةٍ بعد الإيمان ، والذي أخبر عن نفسه : « **بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ** »[1] ما كان ليتغافل عن أهمية الأخلاق الكريمة والصِّفات النبيلة ، ويتغاضى عن خُطورتها ودِقَّتِها ، ولذلكَ ترى أنَّ مكارم الأخلاق والترغيب فيها ، والتشجيع عليها ، تشغل جزءاً كبيراً من الأدعية المأثورة ، ويشتمل هذا الجزءُ على الحقائق الخلقية ، والخلجات النفسية الدقيقة التي تناولها علماءُ الأخلاق والنَّفس ـ فعلاً ـ دراسةً وتحليلاً

فاقْرَأْ أوّلًا دعاءً له ﷺ جامعاً ، ثم اقرأْ الأدعيةَ المأثورةَ الأخرى التي تتناولُ الجوانبَ المتنوِّعة للخلق البشري ، فيقول ﷺ في دعاءٍ له أثناء قيامه باللَّيل

« **اللَّهُمَّ ! اهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَعْمَالِ ، وأَحْسَنِ الأَخْلاَقِ ، لَا يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ ، وَقِنِي سَيِّءَ الأَعْمَالِ ، وَسَيِّءَ الأَخْلاَقِ ، لَا يَقِي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ** »[2]

---

(١) أخرجه القُضَاعيُّ في مسند الشهاب (٢/ ١٩٢) برقم (١١٦٥) ، وابن عبد البر في التمهيد (١٦/ ٢٥٤) ، وذكره العجلوني في كشف الخفاء (١/ ٢٤٤) ، برقم (٦٣٨) ، وص(٣٤٠) برقم (٩١٦)

(٢) أخرجه النسائي في كتاب الصلاة ، باب نوع آخر من الدعاء بين التكبيرة والقراءة ، برقم =

حينما يُشاهِد الإنسانُ صُورتَه في المرآة ، يُدرِك اعتدالَ أعضائه ، واتِّزانَ جسمه ، وصِدقَ قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾[1] ، فلم يَفُتِ النبيَّ ﷺ ، أن يُشعِر أُمَّته بهذه المناسبة كذلك ، بأهميَّة الخَلْق الحسن ، فعلَّمها أن تدعو الله لتحسين الباطن بجانب تحسين الظاهر ، فباجتماعهما يستحقُّ البشر أن يكون خليفة الله في الأرض ، فيقول ﷺ ، وهو يرى صورتَه في المَرآة

« **الحَمْدُ للهِ ! اللَّهُمَّ ! كَما حَسَّنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي** »[2]

إنَّ « الحياة الطيبة » تحتاج في تكامُلها إلى إيمانٍ ، وصحَّةٍ ، وخُلُقٍ حسنٍ ، فيقول ﷺ في دُعاءٍ له

« **اللَّهُمَّ ! إنِّي أَسْأَلُكَ صِحَّةً فِي إِيْمَانٍ ، وإِيْمَاناً فِي حُسْنِ خُلُقٍ** »[3]

وفي دعاءٍ آخر

« **وأَسْأَلُكَ لِسَاناً صَادِقاً ، وَقَلْباً سَلِيْمَاً ، وخُلُقاً مُسْتَقِيْمَاً** »[4]

* * *

= (٨٩٧) ، والدارقطني في السنن (١/ ٢٩٨) برقم (٣) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه

(١) سورة التين ، الآية : ٤

(٢) أخرجه النسائي في « عمل اليوم والليلة » (١/ ١٣٨) برقم (١٦٣) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وابن حبان في الصحيح (٣/ ٢٣٩) برقم (٩٥٩) ، وأبو يعلى في المسند (٩/ ٩) برقم (٥٠٧٥) ، والبيهقي في الشعب (٦/ ٣٦٤) برقم (٨٥٤٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٦/ ٩) برقم (٩٨٤٩) و(٦/ ١٤٦) برقم (١٠٤٠٤) ، والحاكم في المستدرك (١/ ٧٠٤) برقم (١٩١٩) ، والطبراني في الأوسط (٩/ ١٣٢) برقم (٩٣٣٣) وغيرهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

(٤) أخرجه الترمذي عن شدَّاد بن أوس رضي الله عنه ، في كتاب الدعوات ، باب منه « اللهم إني أسألك الثباتَ في الأمر . . . » برقم (٣٤٠٧) .

دقائِقُ أخلاقيةٌ

وقد دَعا النبيُّ ﷺ بجانب هذه الأدعية العامَّة المُجمَلة التي تتَّصل بمكارم الأخلاق، ومحاسِن الأوصاف لبعض المحاسِن الأخرى ـ وقد لفتَ بذلك انتباهَ الأمَّة للاهتمام بهذا الجانب العظيم ـ التي هي في غاية الدِّقة والخُطورة ، وهي بمنزلة المِقياس لتكامُل الأخلاق ، فممَّا يدلُّ على كمال الأخلاق والإنسانية ، والشرف والكرامة ، والوَرَعِ والتقوى أن يرزق الإنسان حبَّ الفقراء والمساكين ، فقد كثر من يُجِلُّون الثروة وذويها ، ويُكرِمون الدنانير والدَّراهم وأهلها ، أما الذين يحبُّون الفقراء والمساكين ، ويعطفون على ذَوي الحاجة ، فهم في قلَّةٍ وندرةٍ ، إلَّا من وَفَّقه الله وهَداه إلى مسالك الخير ، يقول ﷺ في دُعائه

« اللَّهُمَّ ! إنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ ، وَحُبَّ الْمَسَاكِيْنِ »[1]

قد اعتادَ الإنسانُ أن يستكبِر نفسَه ، ويستصغِر غيرَه ، ولم يسلَم من هذا الدَّاء إلَّا أولئك الأفذاذُ المخلصون ؛ الذين عصمهم ربُّك ، فتزكَّت نفوسهم ، وتنزَّهت قلوبهم ، والتأمُّل في ذلك يؤدِّي إلى أنه قد شذَّ من

---

(١) أخرجه الترمذي في أبواب تفسير القرآن، سورة (ص) ، برقم (٣٢٣٣) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، ومالك في الموطأ في كتاب القرآن ، باب العمل في الدعاء ، برقم (٥١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وأحمد في المسند (٥/ ٢٤٣) برقم (٢٢١٦٢) ، والطبراني في الكبير (٢٠/ ١٠٩) برقم (٢١٦) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه .

يسلمون من داء الاستكبار والإعجاب ، فإنَّ ذلك يتمكَّن من النفس من حيث لا يشعر بنو آدم ، وبألوانٍ وأشكالٍ لا يُدرِكها البشر ، ولكي يسلم منه الإنسان يحتاج إلى العناية البالغة ، والاهتمام المتواصل بالدُّعاء ، فإنَّ إدراكَ هذا الدَّاءِ وتشخيصه صَعْبَان ، والشفاء منه شيء غير يسيرٍ ، ولذلك فسيِّد المُخلِصين يدعو لنفسه ـ ويعلِّم أمَّته أن تدعو لنفسها

« اللَّهُمَّ ! اجْعَلْنِي صَبُوْراً ، واجْعَلْنِي شَكُوْراً ، وَاجْعَلْنِي فِي عَيْنَيَّ صَغِيْراً ، وفِي أَعْيُنِ النَّاسِ كَبِيْراً »[١]

إنَّ اتحادَ الظاهر والباطن ، وصَلاحهما مِن نِعَمِ الله العُظمىٰ ، ومِن فضل الله الكبير ؛ الذي يحتاج الحصول عليه إلى العِناية الزائدة بالدُّعاء المخلص ، يقول معلِّمُ الأخلاق ﷺ

« اللَّهُمَّ ! اجْعَلْ سَرِيْرَتِيْ خَيْراً مِنْ عَلاَنِيَتِي ، وَاجْعَلْ عَلاَنِيَتِيْ صَالِحَةً »[٢]

ويفصِّل ﷺ ذلك في هذا الدُّعاء

« اللَّهُمَّ ! طَهِّرْ قَلْبِي مِنَ النِّفَاقِ ، وَعَمَلِي مِنَ الرِّيَاءِ ، وَلِسَانِي مِنَ

---

(١) أخرجه الدَّيلمي في الفردوس (١/ ٤٧٣) برقم (١٩٢٦) من حديث بُريدة الأسلمي رضي الله عنه ، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ١٨١) رواه البزَّار ، وفيه عقبة بن عبد الله الأصمّ وهو ضعيفٌ ، وحسَّنَ البزارُ حديثَه

(٢) أخرجه الترمذي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، في كتاب الدعوات ، باب دعاء « اللَّهم اجعل سريرتي خيراً » برقم (٣٥٨٦) وقال : هذا حديثٌ غريبٌ لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وابن شيبة في المصنَّف (٦/ ١٠٤) ، برقم (٢٩٨٢٤)

الْكَذِبِ ، وَعَيْنِي مِنَ الْخِيَانَةِ ، فَإِنَّكَ تَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ ، وَمَا تُخْفِي الصُّدُوْرُ »[1]

* * *

(١) ذكره الديلمي في الفردوس (١/ ٤٧٨) برقم (١٩٥٣) ، عن أمّ معبد ،والعجلوني في كشف الخفاء (١/ ٢١٩) برقم (٥٧٤) ، وأخرجه ابنُ أبي شيبة في المصنَّف بألفاظ زائدة ، انظر (٦/ ٦٧) برقم (٢٩٥٢١)

التعبير عن القلب

قد نابَ النَّبيُّ ﷺ في دعائه عن كلِّ إنسانٍ في كلِّ ما يحتاجُ إليه ، بأَكمَلِ ما تكونُ النِّيابةُ ، فسيجد كلُّ إنسانٍ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ إلى يومٍ يَرِثُ فيه الله الأرضَ ومَن عليها ، تعبيراً عن قلبه ، وتمثيلاً لعواطفه ومشاعره ، وأسباب ارتياحٍ لقلبه ، وطلباً لحاجات قلَّما تخطرُ ببال عامَّة البشر ، اقْرَأْ هذا الدُّعاءَ(١) على سبيل المثال

« اللَّهُـمَّ ! إنِّـي أَعُـوْذُ بِـكَ مِـنْ مُنْكَـرَاتِ الأَخْـلَاقِ ، وَالأَعْمَـالِ ، وَالأَهْـوَاءِ ، والأَدْوَاءِ(1) ، نَعُوْذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ ﷺ(2) وَمِنْ جَارِ السُّوءِ فِي دَارِ الْمُقَامَةِ ، فإِنَّ جَارَ الْبَادِيَةِ يَتَحوَّلُ(3) ، وغَلَبَةِ الْعَدُوِّ وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ(4) ، وَمِنَ الْجُوْعِ ، فإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيْعِ ، وَمِنَ الْخِيَانَةِ ، فَإِنَّهَا بِئْسَتِ الْبِطَانَةُ(5) ، وأَنْ نَرْجِعَ عَلى أَعْقَابِنَا ، أَوْ نُفْتَنُ عَنْ دِيْنِنَا(6) ، وَمِنَ الْفِتَنِ ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ، وَمِنْ يَوْمِ السُّوْءِ ، وَمِنْ لَيْلَةِ السُّوْءِ ، وَمِنْ سَاعَةِ السُّوْءِ ، وَمِنْ صَاحِبِ السُّوْءِ(7) »

---

(١) لم يروِ هذا الحديثَ أحدٌ بوجهٍ أكمل كما هو المذكور في المتن ، إنما هو مجموعُ أحاديثٍ بروايات مختلفة كما يلي :

(1) أخرجه الترمذي عن زيادة بن عِلاَقة عن عمِّه ، في كتاب الدعوات ، برقم (٣٥٩١) وقال هذا حديث حسن غريب .

(2) جاءت هذه الفقرةُ نيابةً عَمَّن يدعو من الأمة المحمدية ـ على صاحبها الصلاة والسلام أخرجها الترمذي عن أبي أمامة في كتاب الدعوات برقم (٣٥٢١) وقال : هذا حديث حسن غريب

(3) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٧١٤) برقم (١٩٥١) ، وابن حبان في الصحيح (٣/٣٠٧) برقم (١٠٣٣) ، والنسائي في الكبرى (٤/ ٤٦٠) برقم (٧٩٣٩) من حديث أبي هريرة .

(4) أخرجه النسائي في الكبرى (٤/ ٤٥٦) برقم (٧٩٢٤) عن عمرو بن العاص

(5) أخرجه ابن حبان في الصحيح (٣/ ٣٠٤) برقم (١٠٢٩) ، والنسائي في الكبرى (٤/ ٤٥٢) برقم (٧٩٠٣)، وأبو داود في كتاب الوتر، باب في الاستعاذة، برقم (١٥٤٧) عن أبي هريرة.

(6) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب في الحوض ، برقم (٦٥٩٣) ، ومسلم في كتاب الفضائل ، باب=

طلب السِّعة في الرزق عند كِبر السِّن

كلُّ واحدٍ منَّا يحتاجُ إلى الرزق ، غير أنَّه كَمْ مِنَّا مَن يُدرِكَ أنَّ السَّعة في الرزق ، والرَّغَادة في العيش ، يحتاج إليهما الإنسان ـ بأشدِّ ما يكون الاحتياجُ ـ حينما يجتاز آخرَ مرحلة مِن مراحل حياته ، فلا يقدِرُ على تحمُّلِ المشاق ومعالجة العُسر ، ويفقد القدرةَ على كسب المعاش ، وتعجز قُوَاه عن الكدِّ والاجتهاد ، فيروح حريصاً على الراحة ، وسعادةِ العيش ، وسَعةِ الرزق ، فانظُرْ كيف يدعو لذلك معلِّمُ الحكمة ﷺ

« اللَّهُمَّ ! اجْعَلْ أَوْسَعَ رِزْقِكَ عَلَيَّ عِنْدَ كِبَرِ سِنِّي ، وَانْقِطَاعِ عُمُرِي »(١)

* * *

= إثبات حوض نبينا ﷺ ، برقم (٢٢٩٣) من حديث أسماء بنت أبي بكر .

(7) أخرجه الطبراني في الكبير (١٧/ ٢٩٤) برقم (٨١٠) من حديث عقبة بن عامر ، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٢٠) : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

(١) أخرجه، الحاكم في المستدرك عن عائشة رضي الله عنها ، (١/ ٧٢٦) برقم (١٩٨٧) وقال : هذا حديث حسن الإسناد والمتن ، غريب في الدعاء ، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٨٢) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، وإسناده حسنٌ .

طلب صَلاح آخر العمر ، وسعادته وفَلاحه

لم يكتَفِ ﷺ بطلب السَّعة في الرزق في آخر العُمر ، بل دَعا أن يَسُوْدَ هذه المرحلةَ الباقيةَ مِن العمر خيرٌ من كلِّ جانبٍ ، وأن تكونَ آخرُ المراحل أسعدَها ، وأفلحَها ، وأصلحَها ، فيقول

« واجْعَلْ خَيْرَ عُمُرِيْ آخِرَهُ ، وَخَيْرَ عَمَلِي خَوَاتِيْمَهُ ، وَخَيْرَ أَيَّامِيْ يَوْمَ أَلْقَاكَ فِيْهِ »[1]

* * *

(١) هذا جزءٌ من الحديث ؛ أخرجه الطبراني في الأوسط (٩/ ١٧٢) برقم (٩٤٤٨) عن أنس رضي الله عنه ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ، (١٠/ ١٥٧) ، والديلمي في الفردوس (١/ ٤٨٠) برقم (١٩٦٢) ، والعجلوني في كشف الخفاء (٢/ ٥٤) برقم (١٦٦٣)

طلب فجأة الخير ، وسؤال النَّجاة مِن فجأة الشَّر

ما مِن شكٍّ في أنَّ الخيرَ والنعمةَ من مَلاكِ السُّرور والراحة ، إلَّا أنَّ الخير الذي يُصيبُ الإنسانَ فجأةً ، ويُساق إليه بغتةً ، يجلب سروراً يفوق الوصفَ ، ومِن هنالك فإذا كانت الشُّرورُ والفِتَنُ ممَّا تجب منه الاستعاذةُ والاستخلاصُ مرَّةً ، فالشرُّ الذي يفاجأُ به الإنسانُ ، وينوبه مصادفةً ، تجب الاستعاذةُ منه مئة مرَّةٍ ، والذين جابهوا ذلك وجرَّبوه ، يعرفونه جيِّداً ، فكَمْ مِنَّا من يتذكَّرُ خُطورةَ هذا الأمر وهَولَه ، فيستعيذ منه ، ولم يفُتِ النبيَّ ﷺ أن يذكُرَ ذلك في دُعائه

« اللَّهُـمَّ ! إنِّـي أَسْـأَلُـكَ مِـنْ فَجْـأَةِ الْخَيْـرِ ، وَأَعُـوْذُ بِـكَ مِـنْ فَجْـأَةِ الشَّرِّ »[1]

* * *

(١) أخرجه أبو يعلى في المسند (٦/ ١٠٦) برقم (٣٣٧١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ١١٥) رواه أبو يعلى ، وفيه يوسف بن عطية وهو متروكٌ

الاستعاذة من زَوال النّعمة بعد حُصولها

كذلك الفقرُ والاحتياجُ بعد العيش السَّعيد والرزق الرَّغيد ، والعُسْر بعد اليُسْر ، ممَّا تجب الاستعاذةُ منه ، فإنَّ ذلك ابتلاءٌ شديدٌ ، ومحنةٌ خطيرةٌ وقد دَعَا له ﷺ بكلِّ عنايةٍ

« اللَّهُمَّ ! إنِّي أَعُوْذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ ، وَفُجْأَةِ نَقْمَتِكَ [وجَمِيْع سَخَطِكَ] »(١)

* * *

(١) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاة والتوبة والاستغفار ، باب التعوذ من العجز والكسل وغيره ، برقم (٢٧٠٦) ، والنسائي في كتاب الصلاة ، باب التهليل بعد التسليم ، برقم (١٣٤٧) ، وأبو داود في كتاب الصلاة ، باب في الاستعاذة ، برقم (١٥٤٥) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

الاستعاذةُ مِن أَرْذَلِ العُمر

إنَّ طُوْلَ العُمر ممَّا طلَبَه الإنسانُ دَوْماً مُنذ اليوم الأوَّل ، وقد جَرَتِ العادةُ أن يدعو البعضُ للبعض لطُول العمر ، والبركة في الحياة ، لكنَّ طولَ العمر الذي يفقد القُوَى ، ويجعل الإنسانَ عاجزاً عاطلاً كَلاًّ على غيره ، شيءٌ تجب الاستعاذةُ منه ، فيدعو النبيُّ ﷺ ربَّه .

« اللَّهُمَّ ! إنِّي أَعُوْذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ ، وَالْكَسَلِ ، وَالْجُبْنِ ، والْهَرَمِ ، ومِنْ أَنْ أُرَدَّ إِلى أَرْذَلِ الْعُمُرِ »[1]

* * *

(١) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات ، باب التعوّذ من أرذل العمر ، برقم (٦٣٧١) ، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء . . . ، باب التعوّذ من العجز والكسل وغيره ، برقم (٦٨٧٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه

الاستعاذة من نفس حَريصة لا تَشبع ، ومن علم عقيم لا يَنفع

الأموالُ ، يراها الإنسانُ كغايةٍ ، وأكبرَ شيءٍ في الحياة ، ولا يذكُرُ أنَّ الكثرة الكاثِرة ، والكَمِّيَّة الكُبرى من الثروة لا تكفي لنفسٍ حريصةٍ ، والنفسَ التي لا تشبَعُ إنها لمصيبة للإنسان نفسه ، وللعالم كلِّه ، ولذلك استعاذَ منهما الحكيمُ الرَّباني ﷺ وأَوصانا بالاستعاذة ، كذلك العِلْمُ الذي لم يكسب صاحبَه الخشيةَ والتقى ، ولم ينفع الناسَ . والقلب الجريء الذي حُرِمَ خشية الله ، وتجرَّدَ مِن خوف خالِقِه ، كلُّ ذلك تجب الاستعاذةُ منه ، والتحصُّنُ منه ، فقد جَنَى على الإنسانية ما لم يَجْنِ عليها الأعداءُ ، وقد حَوَى النبيُّ ﷺ كلَّ ذلك في دُعاءٍ واحدٍ

« اللَّهُمَّ ! إِنِّي أَعُوْذُ بِكَ مِن قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ ، وَمِنْ دُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ ، وَمِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ، أَعُوْذُ بِكَ مِنْ هٰؤُلَاءِ الأَرْبَعِ »[1]

* * *

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات ، باب ما جاء في جامع الدعوات عن رسول الله ﷺ ، برقم (٥٤٤٤) ، وقال : هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ ، والنسائي في كتاب الاستعاذة ، باب الاستعاذة من قلب لا يخشع ، برقم (٥٤٢٦) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

بعض الحوائج الأساسية والجَذرية في الحياة

إنَّ مِن الحوائج الجَذرية الواقعية التي لا مَعْدَى[1] للبشر عنها ـ لكي يحيى حياةً سعيدةً ـ هي الدَّارُ الواسعةُ مع الرزق الواسع ، إنها حاجة لم تقِلَّ أهميةً في أيِّ فترة من الزمان ، أمَّا في الحياة المعاصرة فقد أصبَحَتْ تُشَكِّلُ مشكلةً كبيرةً ، وأصبَحَتْ مِن أهمِّ متطَلّبات الحياة ، غير أنه يجب أن لا يفوتنا أن نتذكَّرَ أنَّ سَعة الدار ليستْ كلَّ العلاج ، وإنما هو كِفايتها لأَهْلها ، وشُعورهم بسَعتها ، فلو عدم الشعور بسَعتها ، لما كفتْ أوسع دار لطبع طموح ، ونفس طمَّاعة ، وعدم هذا الشعور والطُّمأنينة والرِّضىٰ ، هو السِّرُّ وراء مشكلات الحضارة الحاضرة ، ونُظُم الاقتصاد المعاصرة التي تستعصي على المعالجة ، ولذلك فالنبيُّ الحكيم ﷺ يسألُ ربَّه « السَّعة في الرزق » و « السَّعة في الدار » مكان « سَعة الرزق » و « سعة الدار » ، والفرق بينهما واضحٌ لكلِّ خبيرٍ

« اللَّهُمَّ ! اغْفِرْ لِي ذَنْبِي ، وَوَسِّعْ لِيْ فِي دَارِي ، وَبارِكْ لِي فِيما رَزَقْتَنِي رِزْقِي »[2]

---

(١) المَعْدَى : يُقال : مالي عنه مَعْدَى : تجاوُزٌ إلى غيره

(٢) أخرجه الترمذي في أبواب الدعوات ، باب ما جاء في عقد التسبيح باليد ، برقم (٣٥٠٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وقال : هذا حديثٌ غريبٌ ، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى (٦/ ٢٤) برقم (٩٩٠٨) ، وأحمد في المسند (٤/ ٣٩٩) برقم (١٩٥٨٩) ، وأبو يعلى في المسند (١٣/ ٢٥٧) برقم (٧٢٧٣) من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه ، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ١٠٩) : رواه أحمد وأبو يعلى ورجالهما رجال الصحيح ، غير عباد بن عباد المازني وهو ثقةٌ

التعبير عن حاجيّات المسافر ومشاعره

السَّفر من الحوائج التي لا بُدَّ منها للإنسان ، والمُسْلِم ـ بحكم المركز الذي يحتلُّه في الكون ـ يجب ألا تخلو أيُّ خُطوةٍ منه ، بل وأيُّ تحرُّك منه من الدُّعاء والاستخارة ، وطلب البرِّ والنجاح ، فالسفر الذي هو مِن أَهَمِّ الخطوات ، يجب أن يكون مشفوعاً بكميَّة كُبرى من الدُّعاء ، وطلب الخير ، وسُؤال الصَّلاح والفلاح ، فالمسافر يترُكُ دارَه ، وأهلَه ، ويُصادِفُ سفراً طويلاً ، وأمكِنةً جديدةً ، وأُناساً لَا يَأْلَفُهم ، ويقضي مدَّةً في هجرةٍ مِن أهله ، وبُعْدٍ عن وطنه ، ويمُوجُ قلبه بخليط من الآلام والآمال ، ويُساوِرُه الحزنُ على ما تركه مِن ورائه من الوطن والأهل والمال ، وتخالِطُه الأماني فيما يستقبله ، ثم العناية بالسفر ، والتأهُّبُ له ، ومتاعبه ومشاقه ، وبُعْد المنزل ، والاهتمامُ بالأهداف ، والحنينُ إلى الغايات ، والتطلُّعُ إلى الأغراض ، كلُّ ذلك يُقلِق قلبَه ، ويشوِّشُ ذهنه ، وهو ـ لكي يفوز بالنجاح ـ يحتاج في كلِّ مرحلة من هذه المراحل إلى نصر الله ، ونجدته ، وعونه ، وعصمته

فانظُرْ كيف جاءَ التعبيرُ جامعاً شاملاً عن كلِّ هذه الحوائج ، والأحاسيس في هذا الدُّعاء المُوجَز ، الذي سوف لا يُمكِن أحداً من البشر ـ مهما تمتَّعَ بذكاءٍ وافر ، وأعمَلَ فكره العميق ـ أن يأتي بدعاءٍ أَشْمَلَ منه ، وأَكْمَلَ ، وأَجْمَلَ ، وأَدَلَّ

« اللَّهُمَّ ! إنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هٰذَا البِرَّ والتَّقْوى ، وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى ، اللَّهُمَّ ! هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا ، وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ ، اللَّهُمَّ ! أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ ، والْخَلِيْفَةُ فِي الأَهْلِ ، اللَّهُمَّ ! إِنِّي أَعُوْذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ[1] السَّفَرِ ، وكَآبَةِ[2] الْمَنْظَرِ ، وَسُوْءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الأَهْلِ والْمَالِ »[3]

غير أنَّه ليس السفرُ هو الذي يستحِقُّ العنايةَ بالدُّعاء ، بل ينبغي للمسافر أن يطلب الخير والبركة كُلَّما أتى مكاناً جديداً، ودَخل مَثوىً جديداً ، فقد جاءَ في الحديث الشريف أنَّ النبيَّ ﷺ كان يكرِّرُ ثلاثَ مرَّات ، كلَّما دخل قريةً « اللَّهُمَّ ! بَارِكْ لَنَا فِيْهَا » ثم يقول: « اللَّهُمَّ ! ارْزُقْنَا جِنَاهَا »[4] وكل مسافر بصورةٍ عامَّةٍ ، والمسافر الذي يحمِلُ دعوةً ورسالةً بصورةٍ أخصَّ ، يحتاج إلى أن يحرِزَ حبَّ أهل القرية التي نزل بها ، لكي يرتاحَ ضميرُه ، ويطمئنَّ قلبُه ، ثم لكي تتمكَّنَ رسالتُه من

---

(١) وعثاء السفر : أي شِدَّته ومشقَّته ، وأصله من الوَعْث ، وهو الرَّمْل ، والمشيُ فيه يشتَدُّ على صاحبه ويَشُقُّ (النهاية ٥/٢٠٦)

(٢) الكآبةُ : تغيُّر النفسِ بالانكسار من شدَّة الهمِّ والحُزْن ، والمعنى أن يرجع من سَفَره بأمرٍ يُحزنه ، إمَّا أصابه في سفره ، وإمَّا قَدِمَ عليه ، مثل أن يعود غير مَقْضِي الحاجة ، أو أصابتْ مالَه آفةٌ ، أو يقدم على أهلِه فيجدهم مَرضى ، أو قد فُقِدَ بعضُهم . (النهاية ٤/١٣٧)

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الحج ، باب استحباب الذكر إذا ركب دابته . . . ، برقم (٣٢٧٥) ، وأبو داود في كتاب الجهاد ، باب ما يقول الرجل إذا سافر ، برقم (٢٥٩٩) ، وابن حبان في الصحيح ، في ذكر الخبر المدحض قول مَن زعم أن الخبر برقم (٢٦٧١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥/٨٨) برقم (٤٧٥٥) عن ابن عمر ، وفيه أنه كنا نسافر مع رسول الله ﷺ فإذا رأى القريةَ يريد أن يدخلها قال « اللهمَّ بَارِكْ لنا فيها » ثلاث مرَّات و« اللهمَّ ارزقنا جناها ، وحبِّبْنا إلى أهْلِها ، وحبِّبْ صَالِحِي أَهْلِهَا إلينا »

القلوب ، إلَّا أنَّ المُسْلِم تحتم عليه عقيدتُه ودينه ألا يقصد إلَّا حبَّ أهل الصَّلاح والفلاح ، والدِّين والتُّقى ، ولذلك يقولُ ﷺ في دُعائه

« وحَبِّبْنَا إلى أَهْلِهَا ، وحَبِّبْ صَالِحِي أَهْلِهَا إلَيْنَا »[1]

* * *

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥/ ٨٨) برقم (٤٧٥٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما .

الدُّعاء عند إقبال اللَّيل والنَّهار

ليس السَّفرُ ، أو المنزِلُ هما اللَّذان يستحِقَّان من المؤمن العناية بالدُّعاء والاستخارة ، لا ، بل يجب أن يطلبَ المؤمنُ مِن ربِّه لدى إقبال كلِّ ليلٍ ، وإدبار كلِّ نهارٍ ، وبالعكس ما فيهما من الخير والنفع ، ويستعيذ به ممَّا فيهما من الشرِّ والفتنةِ ، ويشهد بأنه هو المَالِك الحقيقي المطلق ، سائلاً أن يجعل له الحظَّ الأوفر ، والنصيب اللاَّئق ممَّا فيهما من الصَّلاح والبركة والنجاح ، وينبغي أن يستحضِرَ لدى كلِّ تطوُّرٍ وتغيُّرٍ يمرُّ به ، هذه الحقيقة الكبرى ، فقد جاءَ في الحديث الشريف أنَّ النبيَّ ﷺ كان يدعو كلَّما كان يُمسِي

« **أَمْسَيْنَا ، وَأَمْسَى الْمُلْكُ للهِ ، وَالْحَمْدُ للهِ ، لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ ، ولَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ ، رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هذِهِ اللَّيْلَةِ ، وَخَيْرَ مَا بَعْدَهَا ، وأَعُوْذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِي هٰذِهِ اللَّيْلَةِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا ، رَبِّ ! أَعُوْذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ ، وَسُوْءِ الْكِبَرِ ، رَبِّ ! أَعُوْذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ ، وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ** »[(١)]

ويدعو حينما يُصبح ، فيضع كلمةَ « **أَصْبَحْنَا وأَصْبَحَ المُلْكُ للهِ** » مكان

(١) أخرجه مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب استحباب خفض الصوت بالذكر . . . برقم (٦٩٠٨) .

« أَمْسَيْنَا وأَمْسَى المُلْكُ للهِ » ، وجاء في حديثٍ آخر دعاءٌ بهذه الكلمات

« أَصْبَحْنَا وأَصْبَحَ المُلْكُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ . اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هٰذَا اليَوْمِ : فَتْحَهُ ، وَنَصْرَهُ ، وَنُوْرَهُ ، وَبَرَكَتَهُ ، وَهدَاهُ ، وَأَعُوْذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِيْهِ ، وَشَرِّ مَا بَعْدَهُ »[1]

* * *

(١) أخرجه أبو داود عن أبي مالك رضي الله عنه ، في كتاب الأدب ، باب ما يقول إذا أصبح ، برقم (٥٠٨٤)

الاستعاذة من شرِّ النَّفس

لا شكَّ في أنَّ أخْوَفَ ما يجب أن يخافه الإنسانُ ، وأجدَرَ ما يجب أن يستعيذ منه البشَرُ ، هو شرُّ نفسه ، بكلٍّ ما شَهِدَه العالمُ من فظائع الدَّمار والهلاك ، ومظاهر الوحشيَّة والاستبداد ، ومن خسارة الدُّنيا والآخرة ، كلُّ ذلك يرجع إلى شرِّ النفس » ، ولذلك أكثَرَ الرَّسولُ ﷺ من الاستعاذة من هذا العدوِّ الألَدِّ ، فقد جاءَ في دُعائه عند الصَّباح

« **اللَّهُمَّ ! فَاطِرَ السَّمَاواتِ والأَرْضِ ، عَالِمَ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ ، أَنْتَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ، والمَلاَئِكَةُ يَشْهَدُوْنَ أَنَّكَ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ ، فَإِنَّا نَعُوْذُ بِكَ مِنْ شَرِّ أَنْفُسِنَا ، ومِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ وَشِرْكِهِ ، وَأَنْ نَقْتَرِفَ سُوْءاً [عَلَى أَنْفُسِنَا] ، أَوْ نَجُرَّهُ إِلَى مُسْلِمٍ** »[1]

وجاءَ في دعاءٍ آخر

« **اللَّهُمَّ ! قِنِيْ شَرَّ نَفْسِي ، واعْزِمْ لِي عَلَى أَرْشَدِ أَمْرِي** »[2]

---

(١) أخرجه أبو داود عن أبي مالك رضي الله عنه ، في كتاب الأدب ، باب ما يقولُ إذا أصبح . . . ، برقم (٥٠٨٣)

(٢) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (١/ ٣٨١) برقم (٥٧٠) ، والطبراني في الأوسط (٤/ ٤٣) ، برقم (٣٥٦٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه

وجاءَ في دعاءٍ آخر

« يَا حَيُّ يَا قَيُّوْم ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيْثُ ، أَصْلِحْ لِيْ شَأْنِيْ كُلَّهُ ، وَلَا تَكِلْنِيْ إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ »[1]

* * *

(١) أخرجه النَّسائي في السنن الكُبرى ، عن أنس رضي الله عنه ، (٦/ ١٤٧) برقم (١٠٤٠٥) ، والحاكم في المستدرك ، (١/ ٧٣٠) برقم (٢٠٠٠) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط شيخين ولم يخرِّجاه ، والبيهقي في الشعب (١/ ٤٧٧) ، برقم (٧٦١) ، وقال الهيثمي مجمع الزوائد (١٠/ ١٨٠) وقال رواه الطبراني في الصغير والأوسط عن طريق سلمة بن حرب بن زياد الكلابي ، عن أبي مدرك ، عن أنس ، وقد ذكر الذهبي سلمة في « الميزان » فقال مجهولٌ كشيخه .

طلب الخشية واليقين

إنَّ ما يقِفُ سدَّاً منيعاً ، وسياجاً حديديَّاً بين العبد وشرِّ النفس والمعاصي ، هو خشيةُ الله ، والذي يهوِّنُ على العبد ضربة البلايا والرزايا ، ويخفِّفُ له أثرَ المآسي والمصائب ، هو اليقينُ ، فيقول ﷺ :

« اللَّهُمَّ ! اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُوْلُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَك ، وَمِنَ اليَقِيْنِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا »[1]

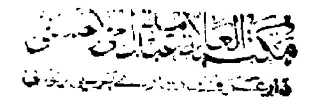
* * *

(١) هذا جزءٌ من الحديث انفرد به الترمذي ، وأخرجه عن ابن عُمَرَ رضي الله عنهما ، في كتاب الدعوات ، باب دعاء : « اللَّهمَّ اقسم لنا من خشيتك »، برقم (٣٥٠٢) ، وقال : هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ

مُنطَلق الشُّرور والمعاصي والاستعاذة منه

إنَّ منطلقَ هذه الشُّرور والمَعاصي ، وأَنْشَطَ وَأَقْوَى عَاملٍ مِن عواملها ، هو حبُّ الدنيا ، إنَّه مَنْبَع الخطيئات كلِّها ، فقد جاء في الحديث الشريف « حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ »[1] أمَّا طبيعة النبوَّة فهي « اللَّهُمَّ ! لَا عَيْشَ إلَّا عَيْشُ الآخِرَة »[2] ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ﴾[3] ، وقد جاءَ في دعائه ﷺ

« وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا ، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا ، وَلَا غَايَةَ رَغْبَتِنَا ، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا »[4]



***

---

(١) حديث ضعيف ، انظر « المقاصد الحسنة » ص(٣٨٤) ، و« كشف الخفاء » (١/ ٤١٢) ، برقم (١٠٩٩)

(٢) أخرجه البخاري كتاب الجهاد والسير ، باب البيعة في الحرب . . . ، برقم (٢٩٦١) ، وفي كتاب مناقب الأنصار ، باب دعاء النبي ﷺ : « أصلح الأنصار » برقم (٣٧٩٦) ، وفي كتاب الرقاق ، باب الصحة والفراغ . ، برقم (٦٤١٣) ، ومسلم في كتاب الجهاد والسير ، باب غزوة الأحزاب ، برقم (٤٦٧٢) و(٤٦٧٤) والترمذي في أبواب المناقب ، باب مناقب سهل بن سعد رضي الله عنه برقم (٣٨٥٦) ، والنسائي في السنن الكبرى (٥/ ٨٥) برقم (٨٣١٦) ، وغيرهم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه

(٣) سورة العنكبوت ، الآية ٦٤

(٤) هذا بعض الحديث ، انفرد به الترمذي ، وأخرجه عن ابن عمر رضي الله عنهما في كتاب الدعوات ، باب دعاء اللهم اقسم لنا ، برقم (٣٥٠٢) ، وقال هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ

حبُّ الله هو الدّواء الوحيد لكلّ داءٍ

بالتأكيد ، إنّ الَّذي يسهِّل الدينَ ، ويحبِّبه إلى القلوب ، ويكرِّه إليها العصيان والفسوق ، ويستخرِج حبَّ الدنيا من أعماقها ـ فتُصبح كلُّ عظمةٍ في الدنيـا شيئاً لا قيمةَ له ، وحينئذٍ يفقد كلُّ جميلٍ في الكَوْن جمالَه ، وكلُّ عظيمٍ عظمتَه ـ والذي يُثبِت القلوبَ والأقدامَ لدى كلِّ ابتلاءٍ ومحنةٍ ، هو حبُّ الله الخالص من كلِّ شائبةٍ ! إلَّا أنَّ القلب الذي تمكَّن مِن هذا الحبِّ ، وتغلَّب على هذا الهُيَام لم يَهِبْ ـ ولن يُهَابَ ـ أيَّ جلالٍ ، ولم يأخذه ـ ولن يأخذه ـ أيُّ جمالٍ ، وقد تغنَّى بذلك شاعرُ الإسلام الدكتور محمد إقبال[1] في شعره الأُرْدُوي ، فقالَ « حبُّ اللهِ عجبٌ في

---

(١) هو نابغة الدهر ، شاعر الإسلام ، فيلسوف الشرق : الدكتور محمد إقبال ، كفى لتعريفه هنا بما قال عنه الأستاذ أحمد حسن الزيات

« فإذا كان حسّان شاعر الرسول ، فإنّ إقبالاً شاعر الرسالة ، وإذا كان لحسان مَن نازعه شرف الدفاع عن محمد ، فليس لإقبال من ينازعه شرف الدفاع عن المحمدية ، وشتَّان بين من يمجِّد الداعي الأكبر عن عصبية ، ومن يمجِّد الدعوة الكبرى عن عقيدة ، وإذا كان في الشعراء الصوفيين من عطَّرَ مجالسَ الذكر بفضائل الإسلام وشمائل النبوَّة ، فليس فيهم من بلغ مبلغَ إقبال في فقه الشريعة وعلم الحقيقة ، والتأمّل الفلسفي في كتاب الله ، والنظر العلمي في كلام الرسول ، والجمع بين قديم الشرق وجديد الغرب في قوّة تميز وسلامة فهم وصحة حكم »

توفِّي ـ رحمه الله ـ عام ١٩٣٨م ، وله تسع دواوين شعرية ، منها البعض بالفارسية والبعض بالأردوية ، وكلُّها قد تُرجِم بالعربية ، وطُبع بعناية المحقِّق في جُزئين في دار ابن كثير بدمشق=

عجبٍ ، فإنَّه يجعل القلبَ يستغني عن العالمين بما فيهما »

إنَّ العلاقةَ التي تقوم على أساسٍ من الحُدود والقُيود ، والطاعة التي تفرضها الأَوامر والنَّواهي ، لن تقوما مقام هذا الحبِّ ، ولن تقوما بالدَّور الَّذي تقوم به هذه العلاقةُ ، فإنَّ القوانين ربما تؤدِّي إلى اتِّخاذ « الباب السِّرِّيِّ » و « المدخل الخَلْفِي » ثم إنَّ القوانين تأتي بالتأويلات ، وتأخذ الكلمات فتحمِّلها ما لا تحتمل ، ثم إنَّها تملُّ ، فتضع السِّلاحَ ، أمَّا الحبُّ فلم يعرف التأويلَ والمَلَلَ ، وبعد عن الكلِّ ، وتعالى عن الاستكانة والاسترخاء ، فهو داءٌ ودواءٌ ، وإنَّ هؤلاء العُشَّاق ـ كما قال الشاعرُ الفارسيُّ ـ لا يبالون بوُعُورة الطريق ، بما أنَّ الحُبَّ هو طريقٌ ومنزلٌ معاً ، ولذلك فالنبيُّ ﷺ عُنِيَ بالدُّعاء لهذا الحُبِّ أَبْلَغَ العناية ، وأَكْمَلها

« اللَّهُمَّ اجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ إِليَّ مِنْ نَفْسِي ، وَأَهْلِي ، وَمِنَ المَاءِ البَارِدِ »(١)

وجاءَ في دعاءٍ آخر

« اللَّهُمَّ ! اجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ الأَشْيَاءِ إِليَّ ، وَاجْعَلْ خَشْيَتَكَ أَخْوَفَ الأَشْيَاءِ عِنْدِي ، وَاقْطَعْ عَنِّي حَاجَاتِ الدُّنْيَا بِالشَّوْقِ إِلَى لِقَائِكَ ، وَإِذَا أَقْرَرْتَ عَيْنَ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ دُنْيَاهُمْ ، فَأَقْرِرْ عَيْنَيَّ مِنْ عِبَادَتِكَ »(٢)

= عام ٢٠٠٢م ، من أراد الاستزادة من الاطلاع على حياة الشاعر العظيم فليقرأ « روائع إقبال » للعلامة أبي الحسن الندوي ، و« إقبال الشاعر الثائر » للأستاذ نجيب الكيلاني ، و« محمد إقبال الشاعر المفكِّر الفيلسوف » للمحقِّق .

(١) انفرد به الترمذي وأخرجه عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، في أبواب الدعوات ، باب دعاء داود : اللهم إني أسألك . . . ، برقم (٣٤٩٠) .

(٢) أخرجه الديلميُّ في الفردوس (١/ ٤٨١) ، برقم (١٩٦٥) عن أبي مالك رضي الله عنه .

وجاء في دعاءٍ آخر

« اللَّهُمَّ ! ارْزُقْنِي حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يَنْفَعُنِي حُبُّهُ عِنْدَكَ

اللَّهُمَّ ! مَا رَزَقْتَنِيْ مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ قُوَّةً لِي فِيْمَا تُحِبُّ

اللَّهُمَّ ! وَمَا زَوَيْتَ[1] عَنِّي مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ فَرَاغاً لِي فِيْمَا تُحِبُّ »[2]

* * *

(١) زويتَ عنّي : أي صَرَفْتَه عني وقَبَضْتَه

(٢) أخرجه الترمذي عن عبد الله بن يزيد الخَطْمِيِّ الأنصاري رضي الله عنه ، في أبواب الدعوات ، باب دعاء اللهم ارزقني حبّك . . . ، برقم (٣٤٩١) وقال : هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ

طلب نَصْر الله وعَوْنه وعَطْفه وكَرَمه

بَيْدَ أنَّ هذا الحُبَّ ، وهذه الطاعةَ ، والتوفيقَ للعبادة ، والذكرَ والشكرَ ، كلُّ ذلك مَنُوْطٌ بعطف الله وكرمه ، ويتوقَّفُ على إعانته ونُصرته ، ولذلك أوصى حبيبُ ربِّ العالمين ﷺ أحدَ أصحابِه[1] بهذه الكلماتِ التي تتدفَّقُ بالحبِّ ، وتفيضُ بالحَنان

« يَا مُعَاذُ ! وَاللهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ ، أُوْصِيْكَ يَا مُعَاذُ ! لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُوْلَ : اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَىٰ ذِكْرِكَ ، وَشُكْرِكَ ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ »[2]

* * *

---

(١) هو معاذ بن جبل رضي الله عنه .

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب في الاستغفار ، برقم (١٥٢٢) ، والنَّسائي في كتاب السهو ، باب الدعاء بعد الذكر ، برقم (١٣٠٤) ، وأحمد في المسند (٥/ ٢٤٤) برقم (٢٢١٧٢) ، وغيرهم من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه

شهادة القلب السَّليم

هذه هي الأدعيةُ المأثورةُ ـ التي ألقينا على نَذْرٍ منها نظرةً عابرةً ـ يتجلَّى فيها ـ كلَّ التجلِّي ـ نورُ النبوَّة ، ويقينها ، وحِكمة الأنبياء ، وعِلْمهم ، وحبُّهم ، وعِرفانهم ، وهي مزيةُ الأنبياء كلِّهم عامة ، ومن سِمَات سيِّد الأنبياء ﷺ خاصَّةً

وإنَّ القلبَ ـ إذا كان على فِطْرته الصحيحة التي فَطَرَه الله عليها ـ سيشهد كلَّما يمرُّ بهذه الأدعية ، بأنَّها مِن كلام النبيِّ المعصوم المَصُوْن ﷺ الذي لا ينطِقُ عن الهوى إنْ هو إلَّا وَحْيٌ يُوْحىٰ ، كما شهد القلبُ السليم في صدر عبد الله بن سَلَام[1] ـ رضي الله عنه ـ حينما وَقَعَ نظرُه على وجه النَّبيِّ ﷺ « واللهِ ، هَذا لَيْسَ بوَجْهِ كَذَّابٍ »[2]

وقد شَهِدَ بالأمرين كِليهما العارفُ الرُّوْمي ـ مولانا جلال الدِّين الرُّوْمِي[3] ـ في شعره الفارسيِّ :

---

(١) هو عبد الله بن سَلَام بن الحارث للإسرائيلي ، قيل : إنَّه من نسل يوسف بن يعقوب عليهما الصلاة والسلام ، أسلمَ عند قُدوم النبي ﷺ المدينة ، وكان اسمه « حصين » فسمَّاه النبي ﷺ عبد الله وفيه الآية : ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الأحقاف : ١٠] والآية ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [الرعد : ٤٣] ، وشهد معه عمر فتح بيت المقدس والجابية ، أقام بالمدينة ، وتوفي بها عام ٤٣هـ (الأعلام : للزركلي : ٤/ ٩٠) .

(٢) انظر : « مصنف ابن أبي شيبة » (٥/ ٢١٧) ، برقم (٢٥٣٨٩) ، و« مسند الشِّهاب » (١/ ٤١٨) ، برقم (٧١٩) ، و« صفوة الصفوة » (١/ ٧١٩) .

(٣) هو محمد جلال الدين الملقَّب مولانا الرومي ، يتصل نسبه بأبي بكر الصديق رضي الله عنه ، كان شاعراً صوفياً ، اختار التصوفَ سبيلاً في حياته العملية ، واختاره فلسفة روحياً لفكره =

« إنَّ أَلم القلبِ وجُرْحه اللّذين يُعانِيهما العُشّاق لذةٌ في لذةٍ لمن يعرف حقيقة هذا الألم ، وإنَّ كلام النبيِّ ووجهه كِليهما معجزةٌ من المعجزات »

فلئنْ كانت أبوابُ السِّير ، والأعمال ، والأخلاق ، والعبادات ، قد دلَّتْ على كمال النبوَّة وفضلها ، وعلومها وحكمتها ، فإنَّ هذه الأدعية المأثورة دليلٌ مِن دلائل النبوَّة ، ومعجزةٌ مِن معجزاتها

فما أَسْعَدَ الأمَّة التي وَرِثَتْ مِن نبيِّها ـ محمَّد رسول الله ﷺ ـ مفتاحَ الدين والدنيا ، ونعم الغيب وثروته ! وبالعكس ، ما أشقى تلك الأمَّة التي لم تتمتَّع بهذا المفتاح ، ولم تستخدم هذا السِّلاح !

وأخيراً ، لا بُدَّ مِن إثبات حقيقةٍ كُبرى إنَّ مِن شَقَاء المنكرين للسُّنَّة ـ بالإضافة إلى خسائرهم الأخرى الكثيرة الكبيرة ـ إنَّهم حُرِموا تلك الأدعية المأثورة ، والكلمات النبوية التي هي جزءٌ من الأحاديث ، فالشُّبهات التي تمكَّنَتْ من قلوبهم في صحة الأحاديث وثبوتها ، حالتْ

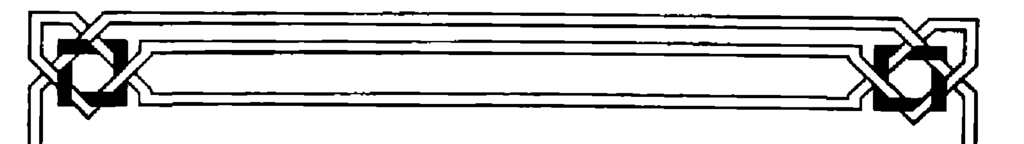
= وفنّه الرفيع ، وقد امتزجت حياته الفكرية بحياته العملية بصورة جعلت تصوُّفه مزيجاً من الفلسفة والحكمة العملية .

ليس تصوُّفه من ذلك النوع السلبيّ الذي يدع الحياةَ وما فيها ، ويدعو إلى هجرها والفناء عنها فناءاً كاملاً ، بل هو تصوُّف بنَّاء ، يستمدُّ عناصره من الإنسان ، ويتعمَّق في بحث مشاكله الروحية والعملية ، ويُحاوِل أن يرسم له المُثل العليا في الفكر والعمل ، يُعنى بالحياة التي يحياها البشرُ وليس الروميُّ مبدع هذا الاتجاه في التصوُّف ، ولكنه أفصح الألسنة في التعبير عنه ، وألمع العقول في ابتداع فلسفته وابتكار أفكاره .

توفِّي في مسقط رأسه « قونية » عام ٦٧٢هـ . من آثاره « المثنويّ » والذي أجمع المفكِّرون والمحقِّقون على أنه يُعَدُّ في طليعة المأثورات الأدبية العالمية .

ـ طبعاً ومنطقياً ـ بينهم وبين التمتُّعِ بهذه الثروة الغيبية الغنية ، واتخاذها وسيلةً إلى التضرُّع والتعبير عمّا في القلب ، وكَفىٰ به عِقاباً

●●●



الفهارس العامّة

- فهرس الآيات
- فهرس الأحاديث .
- فهرس الأعلام
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات

فهرس الآيات

* * *

فهرس الأحاديث

طرف الحديث	الصفحة
اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك	٨٨
اللهم إني أعوذ بك من العجز	٨٩
اللهم إني أسألك من فجاة الخير	٨٧
اللهم إني أعوذ بك من قلبٍ لا يخشع	٩٠
اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق	٨٤
اللهم إني عبدك وابن عبدك	٧٥
اللهم اهدني لأحسن الأعمال	٧٩
اللهم بارك لنا فيها	٩٣
اللهم طهِّر قلبي من النفاق	٨٢
اللهم فاطر السماوات والأرض	٩٧
اللهم قني شرَّ نفسي	٩٧
اللهم لا تجعلني بدعائك شقياً	٧٣
اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة	١٠٠
اللهم لبيك ، اللهم لبيك	٧٣
اللهم ما رزقتني مما أحب فاجعله قوّةً لي	١٠٣
اللهم ما زويت عني مما أحب	١٠٣

* * *

فهرس الأعلام

فهرس مصادر ومراجع التحقيق

(١) **أبو الحسن علي الحسني الندوي الإمام المفكِّر الداعية الأديب** لسيد عبد الماجد الغوري

ن : دار ابن كثير ـ دمشق ، ط ٢ ، عام ١٤٢٠هـ .

٢ ـ **الإصابة في تمييز الصحابة** : للحافظ أحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني ،

ت : علي ، محمد البجاوي .

ن : دار الجيل ـ بيروت ، ط ١ ، عام ١٤١٢هـ .

٣ ـ **الأعلام** : لخير الدين الزركلي

ن : دار العلم للملايين ـ بيروت ، ط ١٢ ، عام ١٩٩٧

٤ ـ **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية** : لمصطفى صادق الرافعي

ن دار الكتاب العربي ـ بيروت ، ط ١ ، عام ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م .

٥ ـ **الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام** : لعبد الحي بن فخر الدين الحسني

ن دار ابن حزم . بيروت ، ط : ١ ، عام ١٤٢٠هـ .

٦ ـ **أمثال الحديث** لأبي الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي

ت : أحمد عبد الفتاح تمام ، ن . مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ط ١ ، عام ١٤٠٩هـ .

٧ ـ **البيان والتعريف** لإبراهيم بن محمد الحسيني .

ت : سيف الدين الكاتب ، ن : دار الكتاب العربي ـ بيروت ، ط ١ ، عام ١٤٠١هـ .

٨ ـ **تاريخ آداب العرب** : لمصطفى صادق الرافعي

ن : دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط : ٤ ، عام ١٣٩٤هـ .

٩ ـ **تاريخ الأدب العربي** : لأحمد حسن الزيات .
ن دار المعرفة ـ بيروت ، ط : ٧ ، عام ١٤٢٢هـ .
١٠ ـ **تاريخ الطبري** : لأبي محمد بن جرير أبي جعفر الطبري
ن دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط ١ ، عام ١٤٠٧هـ
١١ ـ **تفسير ابن كثير** : للحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي
ن دار الفكر ـ دمشق ـ ط : ١ ، عام ١٤٠١هـ
١٢ ـ **تفسير القرطبي** : للإمام محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي
ت أحمد عبد العليم البردوني ن دار الشعب ـ القاهرة ، ط ٢ ، عام ١٣٧٢هـ .
١٣ ـ **تقريب التهذيب** : للحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني
ت : محمد عوامة . ن : دار الرشيد ـ حلب ، ط ٤ ، عام ١٤١٨هـ
١٤ ـ **تلخيص الجبر** : لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني
ت : السيد عبد الله هاشم اليماني المدني . طبع المدينة المنورة ، عام ١٣٨٤هـ .
١٥ ـ **التمهيد** : للإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري
ت مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري . ن وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية المغرب ، ط ١ ، عام ١٣٨٧هـ .
١٦ ـ **تهذيب التهذيب** للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر شهاب الدين العسقلاني
ت إبراهيم الزيبق وعادل مرشد ن مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، ط ١ ، عام ١٤٢١هـ .
١٧ ـ **جامع الترمذي** : للإمام الحافظ أبي عيسىٰ محمد بن عيسى الترمذي .
ت : صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ . ن دار السلام ـ الرياض ـ ط ١ ، عام ١٤٢٠هـ .
١٨ ـ **حياة الصحابة** للشيخ محمد يوسف الكاندهلوي
ت محمد إلياس البار بنكوي ن دار ابن كثير ـ دمشق ، ط ١ ، عام ١٤٢١هـ .

١٩ ـ **خلاصة البدر المنير** : لعمر بن علي بن الملقن الأنصاري .
ت حمدي عبد المجيد إسماعيل السلفي . ن مكتبة الرشد ـ الرياض ، ط ١ ، عام ١٤١٠هـ .

٢٠ ـ **الروائع والبدائع في البيان النبوي** : لمحمد نعمان الدين الندوي
ن دار الشهاب ـ بيروت ، ط ١ ، عام ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م .

٢١ ـ **روائع من أقوال الرسول ﷺ** : لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني
ن : دار القلم ـ دمشق ، ط ٦ ، عام ١٤١٦هـ .

٢٢ ـ **زاد المعاد** : لابن القيم الجوزي
ت شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط . ن : مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، ط : ٣ ، عام ١٤٢٣هـ .

٢٣ ـ **سنن الدارمي** : للإمام أبي محمد عبد الله الدارمي
ت د مصطفى ديب البغا ن دار القلم ـ دمشق ، ط ٢ ، عام ١٤١٧هـ .

٢٤ ـ **سنن أبي داود** : للإمام أبي دواد سليمان بن الأشعث السجستاني
ت صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ . ن دار السلام ـ الرياض ، ط : ١ ، عام ١٤٢٠هـ .

٢٥ ـ **سنن ابن ماجه** : للإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد الربعي ابن ماجه القزويني
ت صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ ن دار السلام ـ الرياض ، ط ١ ، عام ١٤٢٠هـ .

٢٦ ـ **سنن النسائي** للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان النسائي
ن : دار السلام ـ الرياض ، ط ١ ، عام ١٤٢٠هـ

٢٧ ـ **السنن الكبرى** : لأحمد بن شعيب أبي عبد الرحمن النسائي
ت د عبد الغفار سليمان البغدادي ، وسيد كسروي حسين ن : دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط ١ ، عام ١٤١١هـ .

٢٨ ـ **السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي** للدكتور مصطفى السباعي
ن المكتبة الإسلامي ـ بيروت ، ط ١ ، عام ١٤١٩هـ .

٢٩ ـ **سيرة ابن هشام** : لعبد الملك بن هشام
ت ط عبد الرؤوف سعد . ن دار الجيل ـ بيروت ، ط ٢ ، عام ١٤١١هـ .
٣٠ ـ **شخصيات وكتب** : لأبي الحسن علي الحسني الندوي .
ن دار القلم ـ دمشق ط : ١ ، عام ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م .
٣١ ـ **شعب الإيمان** : لأبي بكر أحمد بن حسين البيهقي
ت محمد السعيد بسيوني زغلول . ن دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط ١ ، عام ١٤١٠
٣٢ ـ **الشفاء بتعريف حقوق المصطفى** ﷺ للقاضي أبي الفضل عياض بن موسىٰ اليحصبي الأندلسي .
ن مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، طبعة عام ١٣٦٩هـ .
٣٣ ـ **الشمائل المحمدية** : للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن سورة الترمذي
ت : عبده علي كوشك . ن دار اليمامة ـ دمشق ، ط ١ ، عام ١٤٢٣هـ .
٣٤ ـ **صحيح البخاري** : للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي
ن : دار السلام ـ الرياض ، ط ٢ ، عام ١٤٢١هـ .
٣٥ ـ **صحيح ابن حبان** : للإمام الحافظ محمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي
ت شعيب الأرناؤوط . ن مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، ط ٢ ، عام ١٤١٤هـ .
٣٦ ـ **صحيح مسلم** : للإمام أبي الحُسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القُشيري
ن : دار الفيحاء ـ دمشق ، ودار السلام ـ الرياض . ط : ١ ، عام ١٤١٩هـ .
٣٧ ـ **صفوة الصفوة** : لعبد الرحمن بن علي بن محمد أبي الفرج ابن الجوزي .
ت محمود فاخوري ومحمد رواس قلعه جي ن دار المعرفة ـ بيروت ، ط : ٢ ، عام ١٣٩٩هـ .
٣٨ ـ **عمل اليوم والليلة** : للإمام أحمد بن شعيب النسائي
ت الدكتور فاروق حمادة . ن دار الكلم الطيب ـ دمشق ، ط١ ، عام ١٤٢١هـ .

٣٩ ـ **عون المعبود شرح سنن أبي داود** للعلامة محمد شمس الحق العظيم آبادي أبي طيب

ن : دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط : ٢ ، عام ١٤١٥هـ .

٤٠ ـ **الفائق في غريب الحديث** : لجار الله محمود بن عمر الزمخشري

ت : علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم . ن دار الفكر ببيروت ، ط : ٣ ، عام ١٣٩٩هـ .

٤١ ـ **الفردوس بمأثور الخطاب** : لأبي شجاع شيرويه بن شهر دار بن شيرويه الديلمي

ت السعيد بن بسيوني زغلول . ن : دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط ١ ، عام ١٩٨٦هـ .

٤٢ ـ **كشف الخفاء** : لإسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي .

ت : أحمد قلاش . ن : مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، ط ٤ ، عام ١٤٠٥هـ .

٤٣ ـ **في ظلال الحديث النبوي** : للدكتور نور الدين عنتر

ن المؤلِّف نفسه ، ط : ٢ ، عام ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م .

٤٤ ـ **فيض القدير** : لعبد الرؤوف المناوي .

ن : المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ط : ١ ، عام ١٣٥٦هـ .

٤٥ ـ **مجمع الزوائد** : للحافظ علي بن أبي بكر الهيثمي

ن : دار الريان للتراث ـ القاهرة ـ ط : ١ ، عام ١٤٠٧هـ .

٤٦ ـ **محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة** : لسماحة الشيخ العلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي .

جمع وإعداد : سيد عبد الماجد الغوري . ن دار ابن كثير ـ دمشق ، ط ١ ، عام ١٤٢٢هـ .

٤٧ ـ **مختارات من أدب العرب** : لأبي الحسن علي الحسني الندوي

ن : دار ابن كثير ـ دمشق ، ط ١ ، عام ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م .

٤٨ ـ **المستدرك على الصحيحين** : للإمام الحافظ محمد بن عبد الله أبي عبد الله الحاكم النيسابوري .

ت مصطفى عبد القادر عطا . ن دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط ١ ، عام ١٤١١هـ .
٤٩ ـ **مسند أبي يعلى** للإمام أحمد بن علي بن المثنى أبي يعلى الموصلي التميمي
ت حسين سليم أسد . ن دار المأمون ـ دمشق ، ط ١ ، عام ١٤٠٤هـ
٥٠ ـ **مسند أحمد** : للإمام أحمد بن حنبل أبي عبد الله الشيباني
ن مؤسسة قرطبة ـ القاهرة
٥١ ـ **مسند البزار** للحافظ أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار
ت د محفوظ الرحمن زين الله ن مؤسسة علوم القرآن وبيت العلوم والحكم ـ المدينة المنورة ، ط ١ ، عام ١٤٠٩هـ .
٥٢ ـ **مسند الحارث (زوائد الهيثمي)** للحافظ الحارث بن أبي أسامة/ الحافظ نور الدين الهيثمي
ت د حسن أحمد صالح البكري ن مركز خدمة السنة والسيرة النبوية ـ المدينة المنورة، ط : ١ ، عام ١٤١٣هـ.
٥٣ ـ **مسند الشهاب** للإمام محمد بن سلامة بن جعفر أبي عبد الله القضاعي
ت حمدي بن عبد المجيد السلفي . ن مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، ط ٢ ، عام ١٤٠٧هـ .
٥٤ ـ **مصنف ابن أبي شيبة** : للإمام أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي
ت كمال يوسف الحوت ن مكتبة الرشد ـ الرياض ، ط ١ ، عام ١٤٠٩هـ
٥٥ ـ **المصنوع في معرفة الحديث الموضوع** لعلي بن سلطان محمد الهروي القاري
ت عبد الفتاح أبو غدة ن مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب ، ط ٥ ، عام ١٤١٤هـ .
٥٦ ـ **المعجم الأوسط** للإمام أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني
ت : طارق بن عوض الله بن محمد ، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسني
ن دار الحرمين ـ القاهرة ـ ط ١ ، عام ١٤١٥هـ .

٥٧ ـ **المعجم الكبير** : للإمام سليمان بن أحمد بن أيوب أبي القاسم الطبراني
ت : حمدي بن عبد المجيد السلفي . ن مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة ، ط ٢ ، عام ١٤٠٤هـ .

٥٨ ـ **المقاصد الحسنة** للحافظ محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، ت : محمد عثمان الخشت ، ن : دار الكتاب العربي ـ بيروت ، ط : ١ ، عام ١٤٠٥هـ .

٥٩ ـ **من أعلام المسلمين ومشاهيرهم** للإمام أبي الحسن علي الحسني الندوي
إعداد : سيد عبد الماجد الغوري ن دار ابن كثير ـ دمشق ، ط ١ ، عام ١٤٢٣هـ .

٦٠ ـ **الموطأ** : للإمام مالك بن أنس .
ت : خليل مأمون شيخا . ن دار المعرفة ـ بيروت ، ط ١ ، عام ١٤١٨هـ .

٦١ ـ **منثورات من أدب العرب** لمحمد الرابع الحسني الندوي
ن دار ابن كثير ـ دمشق ، ط ١ ، عام ١٤٢٠هـ .

٦٢ ـ **النهاية في غريب الحديث والأثر** لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (ابن الأثير)
ت الطاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ن دار الفكر ـ بيروت ، ط ١ ، عام ١٤١٨هـ .

* * *

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

* * *